

اثر التبشير والاستشراق على الشباب المسلم

بقلم

الدكتور / جابر قميحة
الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية
بإسلام آباد

تقديم

أحمد الله - سبحانه وتعالى - وأصلى وأسلم على نبيه وآله بين يدي هذا البحث المتواضع . والموضوع كما هو ظاهر لا يمكن أن تحيط بكل جوانبه هذه الورقات وأضعافها . . هو موضوع واسع رحيب حتى لو حدد « التأثير في نطاق الشباب المسلم » ، لأن هذه التأثيرات في ذاتها ذات شعب وألوان فمنها النفسى ، ومنها الاجتماعى ، ومنها التربوى ، ومنها السياسى . . إلخ . ولا أكون غالباً إذا قلت : إن لوناً واحداً من هذه التأثيرات يحتاج إلى بحث مفرد .

وإني لأعترف أن هذا البحث كان من الممكن أن يكون أوفى وأعمق وأدق في بياناته وعناصره وقضاياه لولا معوقان :

الأول : ضيق الوقت الذي أنجز فيه هذا العمل وهو شهر وبعض شهر .

والثاني : عدم توفر المراجع الكافية مما أوقعنى في خطأ منهجى - أعتذر للقارئ عنه - وهو خطأ وقعت فيه باختيارى ، وأعنى به ، الاستعانة بمراجع بسيطة « بمعنى أخذ نص من مرجع أخذه هذا الأخير من مرجع غيره ، وذلك لعدم وجود المصدر الأصيل ، وإن كنت قد فعلت ذلك مرات تقل عن أصابع اليد الواحدة » .

وآمل أن أجد في المستقبل القريب الوقت والقدرة على معالجة هذا الموضوع على نحو أوفى وأوعى ، فالموضوع من أخطر الموضوعات وأهمها .

والله ولي التوفيق . .

د . جابر قميحة

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية الدولية

إسلام آباد

الفصل الأول

التبشير والاستشراق الملامح والأبعاد

يراد بالإستشراق ما يقوم به الغربيون من دراسة لتاريخ الشرق وأعمه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره. ولكنه كان يقصد به في العصور الوسيطة دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمّه في غياهب من الجهل الكثيف.

وفي سنة ١١٣٠ أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الأسقف « ريموند » أخذت تنقل جلائل الأسفار العربية إلى اللاتينية، وتضافرت على هذا المجهود النبيل قواعد أخرى للترجمة طوال القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر حتى بلغ ما ترجموه من العربية يومئذ ثلاثمائة كتاب أو أربعمئة أغلبها للرازي وأبي القاسم الزهراوى وابن رشد وابن سينا. . وظلت هذه الكتب المنقولة منهاجاً للتعليم في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة، واحتفظ بعضها بقوته وقيمتها حتى القرن التاسع عشر^(١).

على أن الاستشراق لم يبق محصوراً في دائرة الانتفاع بعلوم العرب ومدنية الشرق، وإنما خرج عنها إلى أغراض تجارية أو استعمارية أو دينية فأقبلت الأمم الأوروبية القوية بحكم هذه الدوافع تتنافس في تعرف الشرق، وارتباد أقطاره، وكشف آثاره، وفتح كنوزه، وإحياء أدبه، وطبع كتبه، وإبراز فنه.

ثم صار الإستشراق فناً قائماً بنفسه يطلب به الوقوف على لغات الشرق ميتها

وحيتها، والإطلاع المباشر على آدابها وفنونها. وفي سبيل ذلك أسسوا المطابع وأنشأوا المكتبات، وألفوا الجمعيات وأقاموا المؤتمرات، وأصدروا المجلات، وجمعوا المخطوطات، ونشروا نفائس الكتب، وعلفوا عليها الحواشي وذيلوها بالفهارس المختلفة للأسماء والموضوعات والأمكنة^(٣).

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار « دائرة المعارف الإسلامية » بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة. . . ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم^(٤).

وليس من همنا تتبع جهود المستشرقين في المجالات العلمية والأدبية والاجتماعية وغيرها، فذلك أكبر من حدود بحثنا، وأوسع من خطتنا نطاقاً. ولكننا ابتداء سنحاول في عرضنا وتقييمنا وأحكامنا أن نلزم جانب الإنصاف. . . بعيداً عن الإفراط والتفريط. . . بعيداً عن الإسراف والتقصير، متمثلين قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا، اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

فالحكم المطلق على المستشرقين بأنهم رصدوا أنفسهم لهدم الإسلام والعربية، وتسميم أفكار شبابنا وتحطيم أخلاقياته. . .

كالحكم المطلق على المستشرقين بأنهم رصدوا أنفسهم لخدمة الإسلام والعلوم الإسلامية والحضارة العربية. . .

كلا الحكمين مجانب للصواب. . . مجاف للواقع. . . مناقض لروح العلم والبحث الشريف. ومناقض كذلك لروح الإسلام الذي أمرنا أن نتبين طريقنا، وأن نبحت عن الحقيقة، وننشد الحق. . . الإسلام الذي قال نبيه - صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن، أُنْتِ وجدها فهي له ».

وأى مسلم منصف يستطيع أن يزعم أن توماس كارلايل كان « صليبياً متعصباً »

وهو يقول عن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتابه « الأبطال »
« ... ويزعم المتعصبون من النصارى الملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه
إلا الشهرة الشخصية ، ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وأيم الله ، لقد كان في فؤاد هذا
الرجل الكبير ابن القفار الفلوات العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة
وحجى . . أنكاراً غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . . لقد كان
زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . .
لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور ، وأحيا به من العرب أمة
هامدة ، وأرضاً مواتاً »^(١) .

والمسلم المنصف لا يستطيع أن ينكر جهود مستشرق مثل « دير منجم » وآخر مثل
« دينيه » في السيرة والسنة^(٢) ، أو توماس أرنولد^(٣) ، ربخاصة كتابه المشهور « الدعوة إلى
الإسلام »^(٤) .

بل من هؤلاء المستشرقين من قام بأعمال علمية دينية لم يقم بمثلها مسلم ،
كالمستشرقين الألمانين « برحشتراسر » و « بريستل » فقد كتبا « مجموعة علوم
القرآن » ، ودونا فيها كل آية في لوح خاص يحوى متنوع الرسم في مختلف المصاحف ،
مع بيان قراءاتها ومتعدد تفاسيرها ، ثم نشرا في موضوعها ثمانية كتب من الأبحاث
لأشهر علماء الإسلام بعد مضاهاة بعضها ببعض وتحقيقها وفهرستها وترجمة أجزاء منها
إلى الألمانية . كما أنشأ « برحشتراسر » للقرآن متحفاً في جامعة « ميونيخ » أتمه من بعده
« برلستل » يضم :

- ١ - الصور الشمسية لسائر مخطوطاته في أرجاء العالم .
- ٢ - آلاف النسخ من المخطوطات باليد من جميع العصور حتى لو كانت ورقة
واحدة .
- ٣ - المطبوعات الخاصة بتفسيره وعلومه ، وجعل لكل آية منه علبة خاصة ، مع
تفسير كل مفسر لها من عصر الصحابة إلى اليوم^(٥) .

ومن أشهر المستشرقين الهولنديين « دنسك » الذي عنى عناية فائقة بالحديث
النبوي الشريف . وما صنفه عنه : فهرس ذيل الحديث (١٩١٦ - ١٩١٨) .

وقيمة الحديث في الدراسات الإسلامية (١٩٢١)، ومفتاح كنوز السنة مرتبا على الحروف الأبجدية (١٩٢٧)، ويأشر وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن الكتب الستة، ومسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند ابن حنبل^(١).

ومن أخلص المستشرقين للقضية المصرية - بصفة خاصة - المستشرق الإنجليزي « ويلفريد بلنت » (١٨٤٠ - ١٩٢٢) الذي طوف في الشرق الأوسط، وأيد زعماء الحركة الوطنية في أفغانستان ومصر وإيرلندا، ثم استقر في مصر كل شتاء حيث ابتاع بيتا في ضواحي القاهرة، وتزيا بالزي المصري، ولم يكن يتكلم إلا العربية.

ومن آثاره: مستقبل الإسلام (١٨٨٢)، والتاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر (١٩٠٧)، وقد نقله إلى العربية الأستاذ عبدالقادر حمزة^(٢).

ومن هؤلاء المستشرقين من تعمق في دراسة الإسلام، فأسلم، وكتب عن الدين الإسلامي ما لم يكتبه أبناؤه: أمثال: محمد أسد (ليوبولد فايس) وعبدالرشيد الأنصاري (روبرت ولزلي) وناصر الدين (دينييه) وعبدالكريم جرمانيوس. والسيدة مريم جميلة (مارجريت ماركوس)، والكاتبة البريطانية. « إيفلين كوبلد »، والدكتورة ستان رايتنس - الهولندية - ومارشيل مايكل أنجلو - الإيطالية، وقد أسلمن بعد بحث واقتناع، واعترفن بأن الإسلام دين الفطرة، ومنهاج الحياة السوي المستقيم^(٣).

فهناك - إذن - عدد لا يستهان به من المستشرقين قدموا للفكر الإسلامي والعربي والعلوم الشرعية دراسات وتحقيقات لا يستطيع أى منصف أن ينكر قيمتها وآثارها الطيبة أو يتساهل في تقديرها اللائق بها:

١ - فقد كانت نتيجة لجهود صادقة لم تشبها شائبة من التعصب، ولم ينجح أصحابها إلى التعامى والتجاهل. ومن ثم لا نكون غالين أو مجافين للحقيقة إذا وصفناها بالصدق والأمانة.

٢ - وكثير من هذه الجهود العلمية لم يسبق إليها العرب والمسلمون مثل ذلك البحث الذي كتبه المستشرق « كراتشكوفسكى » عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم

في القرن السادس عشر الميلادي ، وقد قال عنه المرحوم أمين الخولي
« ... وإني أشك أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه
المخطوطات .. »^(١١).

٣ - وهم - بلا ريب - أصحاب منهج له ملامحه وأصوله العلمية القائمة على
الإحاطة والتنخل والموازنة والترتيب والاستنباط لبلوغ الحقيقة.

قد ساعدتهم على تطبيق منهجهم العلمي مميزات خاصة أهمها:
(أ) أخذهم بأمهات اللغات سامية كانت أو آرية ، فدرسوا الكلدانية والآشورية
والآرامية والسريانية والعبرية والعربية والحبشية والأرمنية والفارسية والتركية
وسائر لغات الشرق الأقصى . وبعض هؤلاء مثل المستشرق « بيتنر » كان يتقن
إحدى وخمسين لغة ولهجة .

(ب) سعة ثقافتهم في مجالات العلوم الإنسانية المختلفة .

(جـ) التخصص الدقيق : فالواحد منهم كان يتخصص في لغة أو دين أو علم أو
أدب أو فن أو سلالة أو عصر أو أديب كتخصص المستشرق « بلاشير » في
الشاعر العربي أبي الطيب المتنبي .

(د) صبرهم وجلدهم على العمل ، وقد ضرب به المثل ، وربما ينقضى عمر أحدهم
في تحقيق مخطوط أو تصنيف كتاب . فالمستشرق « فلوجل » مثل أنفق من
عمره ربع قرن في جمع مخطوطات كتاب « الفهرست » لابن النديم من
مكتبات فينا وباريس ولندن^(١٢) .

ولا يفوتنا أن نقرر في هذا المقام أن التخصص الدقيق - بمفهومه الحاد - وهو سمة
من سمات المستشرقين - قد خدم - ولا شك - هذه الدراسات الرأسية العميقة ، ولكنه
في كثير من الأحيان كان على حساب الوعي الشامل بدقائق اللغة وأسرار استعمالها
مما يوقع المستشرق الباحث في بعض الأخطاء الجسيمة ، وقد ضرب « العقاد » عدة
أمثلة لهذه الأخطاء ، ومنها أن أحدهم ألف كتاباً عن « الشيطان » يلم فيه بصفة

إبليس في الإسلام، ويستغرب فيه من هذا الدين الذي يقول عن الله تعالى إنه أمر الملائكة بالسجود لآدم، مع أنه الدين الذي إشتهر بغاية التشدد في إنكار الشرك، وتكفير كل ساجد لغير الله.

ومرد الخطأ فيما بدز إلى الكاتب من التناقض بين التوحيد وبين السجود لآدم، أنه فهم السجود بمعنى الصلاة دون غيرها من معاني الكلمة في اللغة العربية قبل أن يعرف العرب صلاة الإسلام، ولم يفهموا منها أنها كلمة تنصرف إلى العبادة دون غيرها، لأنهم يقولون «سجدت عينه» أي أغضت. وأسجد عينه: أي: غَضَّ منها، وسجدت النخلة: أي: مالت، وسجد: أي: غَضَّ رأسه بالتحية، وسجد لعظيم: أي: وقَّره وخشع بين يديه.

ولا تناقض على معنى من هذه المعاني بين السجود لآدم وتوحيد الله، وإنما السجود هنا هو التعظيم المستفاد من القصة كلها، وهو تعظيم الإنسان على غيره من المخلوقات^(١٤).

* * *

هذا هو الوجه المشرق للاستشراق: وجه فئة رصدت أنفُسها وجهودها لخدمة «الحقيقة العلمية» في حياد وجلد وسعة أفق بعيداً عن روح التعصب والحقْد والتحامل الأعمى على الإسلام والقرآن والنبي والعربية والعروبة.

وهذا يجزنا إلى «الوجه الكالح القبيح» الذي ينم عن التعصب الصليبي الأعمى، والذي عكس تصوراتهم للإسلام، وشرحهم لمبادئه، وبعثهم خلافات أخرى لا يلتفت إليها المسلم بعد ما صهر الإسلام علاقته بأخيه المسلم^(١٥).

وينطوى عمل هذه الفئة من المستشرقين الدارسين للإسلام على نزعتين رئيسيتين: الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوروبي والرضاء بولايته، ويتمثل ذلك في إضعاف القيم الإسلامية، وتمجيد القيم الغربية المسيحية.

الثانية : سيطرة الروح الصليبية في دراسة الإسلام، بدعوى البحث العلمي،
وخدمة الإنسانية^(١٧).

وانطلاقاً من هذه الروح الخبيثة نجد مستشرقاً مثل « رينان » يزرى بعقيدة التوحيد الإسلامية، ويرى - دون دليل - أنها « تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك »^(١٨).

أما عقيدة المسيحية فلأنها قائمة على التثليث - فهي تؤدي إلى ترقية شأن الإنسان بتقريبه من الحضرة الإلهية . . فالثالوث مشتقة أصوله من ضرورة إله بشري يمحو ذنب الجنس البشري ويفديه من الخطيئة التي اقترفها، وهذا الاعتقاد هو أخف وأعلى وأجلب للثقة إذ يحمل المسيحيين على إتيان الأعمال التي تقرهم إلى الله حيث الوسائط بينهم وبين ذاته العلية موصولة، في حين أن المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن يهوى في الفضاء بحسب ناموس لا يتحول، ولا يتبدل، ولا حيلة فيه سوى متابعة الصلوات والدعوات والاستغاثة بالله الأحد الذي هو مستودع الآمال، ولفظة الإسلام معناها الاستسلام المطلق لإرادة الله^(١٩).

وواضح أن المستشرق يحاول بمنطق متهافت - أن يحول الموحدة العقدية الإسلامية الكبرى وهي « التوحيد » إلى مذمة ومثلبة، وأن يرفع من شأن « التثليث » الذي لم يقنع ولم يقتنع به كثير من المسيحيين أنفسهم، بينما حاول آخرون منهم أن يؤوله، أو يخرججه على وجه ما، ليقربه إلى عقيدة التوحيد الإسلامية التي يهضمها الإنسان أيا كان حظه من العقل. وكيف يكون التثليث « بوسائطه أدعى إلى ثقة الإنسان بالذات العلية من التوحيد الذي يجعل الإنسان يلجأ إلى رب واحد بلا وسائط؟! ».

وكانت شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - هدفاً لهؤلاء، وخاصة فيما يتعلق بزوجاته « فكلهم يحسب أن المقتل الذي يصاب منه الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعة النبي - عليه السلام - وتمثيله لأتباعه في صبورة معيبة لا تلائم شرف

النبوة، ولا يتصف صاحبها بفضيلة الصدق في طلب الإصلاح، وأي صورة تغنيهم في هذا الغرض الأثيم كما تغنيهم صورة الرجل الشهواني الغارق في لذات الجسد، العازف - في معيشته البيتية ورسالته العامة - عن عفاف القلب والروح»^(١٤).

ويرى العقاد^(١٥) - بحق - أن ما عدّه غلاة المستشرقين وهمة وعاراً إنما هو نقطة وضیئة في حياة نبي المسلمين، فلا حجة للمسلم على صدق محمد - عليه السلام - في رسالته أصدق من سيرته في زواجه، وفي اختيار زوجاته، وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته.

يقول العقاد: قال لنا بعض المستشرقين: «إن تسع زوجات للدليل على فرط الميول الجنسية». قلنا «إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية Undersexed لأنه لم يتزوج قط، فلا ينبغي أن تصف محمداً بأنه مفرط الجنسية Oversexed لأنه جمع بين تسع نساء.

ويقول العقاد: ما الذي يفعله الرجل الشهوان الغارق في لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه محمد بين قومه؟.

إنه لم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه.

فهل فعل محمد ذلك بعد نجاحه؟

هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته؟

كلا - لم يفعله قط، بل فعل نقيضه، وكاد يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش في داره.

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة لأنها مليحة أو وسيمة، ولم يئن بعذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعاً أنه اختارها لأنها بنت صديقة وصفيه وخليفته من بعده: أبي بكر الصديق - رضي الله عنه^(١٦).

ولو كانت لذات الحسن هي التي سيطرت على زواج النبي بعد وفاة خديجة لكان

الأحجى بإرضاء هذه الملذات أن يجمع النبي إليه تسعا من الفتيات الأبنكار اللاتي
اشتهرن بفتنة الجمال في مكة والمدينة والجزيرة العربية، فيسرعن إليه . . راضيات
فخورات، وأولياء أمورهن أرضى منهن، وأفخر بهذه المصاهرة التي لا تعلوها
مصاهرة^(٣٣).

وكانت اللغة العربية كذلك هدفاً لهجوم متعصبي المستشرقين، وبذلوا جهوداً
مكثفة، لإثبات ما زعموا أنه قصور فيها وعجز وتعقيد. كما دعوا إلى الانتصار
للعاميات واللهجات المحلية وإحلالها محل الفصحى خلوصاً إلى هدم لغة القرآن
الكريم^(٣٤) وكذلك دعواهم وأتباعهم إلى تسكين أواخر الكلمات العربية لتسهيل
قراءتها وتعلمها - على حد زعمهم!! وتبنوا كذلك الدعوة المشهورة إلى استبدال
الحروف اللاتينية بالحروف العربية^(٣٥).

وشن هؤلاء على الإسلام ومبادئه غارات عصبية ضارية . . فهاجموا الحدود
الإسلامية، ويسببها اتهموا الإسلام بالتخلف والوحشية، والإسلام عدواني النزعة
لأنه يأمر المسلمين بالجهاد في سبيل الله، والإسلام قاصر متناقض في موقفه من قضية
القضاء والقدر، وتشريعات الإسلام الإجتماعية والأسرية موصومة في نظرهم بالجمود
والتخلف والإصرار على فرض الرق والعبودية على المرأة بجعل « القوامة للرجل »،
حتى ذهب كرومر في كتابه « مصر الحديثة » إلى أن الرجل المسلم يتمسك بالإسلام
أشد من تمسك المرأة المسلمة بالإسلام، ويعلل هذا الافتراض - على أنه ظاهرة في
الحياة الإسلامية - بأنه يرجع إلى اختلاف وضعية كل من الرجل والمرأة في
الإسلام^(٣٦).

ثم كثف هؤلاء المستشرقون جهودهم العلمية لزرع أفكار معينة في الوطن
الإسلامي والوطن العربي، وكلها أفكار تخدم المنطق الاستعماري. وأهم هذه
الأفكار:

- ١ - فكرة إبعاد الإسلام عن مجال العلاقات بين الأفراد في السياسة والحكم والاقتصاد والعلائق الاجتماعية .
- ٢ - فكرة أن الظروف الدولية تدعو المسلم إلى الولاء لغير المسلم ، وإلى الرضاء بحكومته .
- ٣ - فكرة أن الإسلام نفسه يتجدد ، ويخضع لعامل الزمن في تطوره ، ومن ثم فلا داعي للتقيد بتعاليم الماضي جملة في تكييف الحاضر .
- ٤ - فكرة أن الإسلام كدين يتعدد بتعدد شعوبه وأجناسه ، ويتعدد مصادره التي يستقى منها .
- ٥ - فكرة عزل الإسلام عن الحكم ، والفصل بين ما يسمى ديناً ، وما يسمى دولة^(٣١) .

وكل هذه الأفكار تعتبر « قيماً استعمارية » وركائز بنى الاستعمار الغربي عليها سياسته في استعمار الشعوب ، وخلق جماعات في الشعوب الإسلامية تروج لهذه الأفكار مثل جماعة « القاديانيين »^(٣٢) ، تلك الجماعة التي يرى زعيمها أنه نبي مرسل ينزل عليه الوحي ، ولكنه ليس بنبي مستقل ، بل نبي متبع كهارون لموسى ، وحرف معاني القرآن ، وأولها بتأويل فاسد ، وروح أفكاراً باطلة ، وأدى للاستعمار خدمات جليلة . . فكان من أعظم خدماته لهم فتواه بأنه لا يجوز لمسلم أن يرفع السلاح في وجه الإنجليز ، لأن الجهاد قد رفع ، وأن الإنجليز هم خلفاء الله في الأرض^(٣٣) .

فإذا ما جُوبه القديانيون بآيات الجهاد - وهى من محكم القرآن - زعموا أن المقصود بالجهاد في سبيل الله ليس اللجوء إلى العنف باستخدام أدوات الحرب ضد غير المؤمنين ، وإنما هو وسيلة سليمة للإقناع^(٣٤) .

ويؤصل فكرة الصلة بين الاستشراق والاستعمار أن الحروب الصليبية نفسها كانت منبعاً من منابع الاستشراق : فقد أطلعت الغربيين على مواطن في دينهم - من المقارنة بين الإسلام وبينه - تحتاج إلى مراجعة أو تعديل ، وهذا ما سماه بعضهم بحركة الإصلاح الديني ، فاستدعت المراجعة نوعاً من الدراسات العبرانية ، ثم انتقلوا إلى

الدراسات العربية، ثم كانت هناك الرغبة في التبشير بالمسيحية في الشرق، فاستلزم هذا دراسة اللغة العربية على أيدي المستشرقين، ومن هنا تلاقت وجهة الاستعمار ووجهة التبشير ووجهة الاستشراق^(٣١).

* * *

وإذا استثنينا من تحدثنا عنهم - في مطلع هذا الفصل - من المستشرقين المتصفين الذين درسوا العربية والإسلام والقرآن تهيمن عليهم روح العلم والإنصاف والأمانة حتى أسلم بعضهم عن قناعة واقتناع.. أقول إذا استثنينا هؤلاء وجدنا الاستقراء التاريخي يؤكد حقيقتين أخريين:

الحقيقة الأولى : أن الاستشراق بمفهومه العلمي المنصف الجاد، وبالأبعاد والملاح التي عرضنا لها لم يعد له في وقتنا الحاضر وزنه الثقيل بل وجوده الحقيقي . وربما كان هذا ما عتته صحيفة « الموند » الباريسية - في أحد أعدادها سنة ١٩٧٣م - بقولها « لقد مات الاستشراق »^(٣٢) وذلك لأسباب عديدة منها السياسي، ومنها الاجتماعي ومنها العلمي مما يخرج تفصيله عن نطاق بحثنا.

ويؤيد هذه الحقيقة ويعلل لها غير واحد من المفكرين العرب، ومنهم د. على حسن الخربوطلي الذي يرى في كتابه « المستشرقون والتاريخ الإسلامي » أن الدراسات التي يقوم بها المستشرقون الآن في جامعاتهم الأوروبية والأمريكية يقدمونها غالباً لمواطنيهم، ولم يعد العرب والشرقيون يهتمون بها كثيراً، فقد أغناهم العلماء والمفكرون العرب بأبحاثهم القيمة التي تبرز غالباً أبحاث المستشرقين، وأصبحت الجامعات العربية تمنح « الدكتوراه ». ونلاحظ أن الكتب الأجنبية التي تتناول دراسات عربية وإسلامية والتي وصلتنا أخيراً لا تتصف غالباً بالعمق والدسامة، بل هي غالباً كتب سطحية خفيفة كتبها المستشرقون لأبناء وطنهم، لأنها لا تفيد العرب، ولا تسمن ولا تغني من جوع.

كما يرى الدكتور الخربوطلي أن الاستشراق الآن محدود، وأن مجالاته تنكمش، وقد أصبحت كفة الباحثين العرب هي الراجحة الآن، وأصبح العرب في غير حاجة إلى

فكر مستورد، وبات المستشرقون يجتزون جهودهم السالفة، وانحصرت أبحاثهم الجديدة في دوائر محدودة^(٣٣).

أما الحقيقة الثانية : فهي أن الإستشراق بالصورة السابقة إذا كان قد خف وزنه، وفقد تأثيره وفاعليته، فإنه ما زال له وزنه وفاعليته ولكن في ثوب آخر هو ثوب « التبشير » . أي أن المجهودات العلمية الإستشراقية الهائلة انحسرت، ولا يكاد يبقى على الساحة الآن إلا « المستشرق المبشر » الذي يضرب في بلاد الشرق وأحراشه، لتحقيق أهداف معينة محدودة.

واستكمال الصورة بأبعادها وملاحمها - الظاهرة والخافية يقتضينا الوقوف عند : التبشير والاستعمار والتلحيد.

* * *

والتبشير والاستعمار من أشهر الكلمات وأكثرها دوراناً على الألسنة والأقلام ولطما للعيون وطرقاً للأسباع . والأولى كما هو معروف تعنى الدعوة والعمل على نشر المسيحية بصفة خاصة^(٣٤) على اختلاف مذاهبها الثلاثة المشهورة الكاثوليكية والأرسوذكسية والبروتستانتية.

أما الثانية فتعني - بالمفهوم التقليدي - اختلال دولة لجزء من أرض دولة أخرى، وذلك لمصالح عسكرية أو سياسية أو اقتصادية.

والاستعمار لم يجمد نفسه عند هذا المفهوم التقليدي، بل إنه - نظراً لأسباب ومواصفات عالمية ومصلحية - قد طور نفسه، فلم يعد - في صورته الأخيرة إرتباطاً بمكان يحتل، بقدر ما أصبح تعبيراً عن سياسة، وتنفيذاً لأيديولوجيات فكرية واقتصادية، أو بتعبير آخر: لم يعد للاستعمار الأرضى أو المكاني أهميته التي كانت له في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وذلك لعدة أسباب أهمها - في نظري - أربعة :

الأول : بهاذة التكاليف والنفقات التى يتطلبها بقاء قوة عسكرية أجنبية من عشرات الألوف أو مئاتها في أرض دولة أخرى .

والثاني : التقدم التقنى العسكري الهائل في مجال الصواريخ والطيران بصفة خاصة، وذلك طبعاً قلل من قيمة « الوجود العسكري البشري » ، وأصبح من البديهيّات الواضحة أن تقدم التقنية العسكرية يرتبط ارتباطاً عكسياً بأهمية الاحتلال البشري والكثافة العددية للجيش المحتل .

والثالث : بروز أهمية السيطرة الاقتصادية، وخصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين، وربط دول العالم الثالث بأمريكا والدول الأوروبية في احتياجاتها الحيوية من طعام وكساء وسلاح .

والرابع : اتجاه الدول الكبرى إلى ما يمكن أن نسميه « بالغزو المعنوى » وأهم الصور التى يتجسد فيها هذا الغزو صورتان هما :

(أ) الصورة الأيديولوجية : أو ما يمكن أن نسميه بالغزو الفكرى العَقْدى، وهى تعنى اعتناق « مذهبية » أو « فكرية » معينة، ولعل أوضحها ملامح « الفكرية الماركسية » التى بهر بها شباب العالم الثالث، وهيمنت على النظام السياسى لبعض دول مثل « أثيوبيا » و « اليمن الجنوبي » .

(ب) الصورة الولائية : أو ما يمكن أن نسميه بالغزو النفسى، وهذه الصورة أخف لوناً وحدة ودرجة من الصورة السابقة، وتعنى وجود أو إيجاد عملاء متعاطفين أو مرتبطين مصلحياً أو نفسياً بدولة كبرى، فهم يدعون لها ويرون ضرورة الارتباط بها اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً في شكل أحلاف أو معاهدات أو تسهيلات أو غيرها .

* * *

وعوداً على بدء نقول إن كلمتي « التبشير » و « الاستعمار » من أشهر الكلمات في المعاجم السياسية والدينية والاجتماعية، فالأولى كما ذكرنا تعنى في الاصطلاح العرفي

« الدعوة إلى النصرانية والعمل لها ». والثانية تستعمل - بإطلاقها المجرد - مرادفة للاحتلال العسكرى، ولا تخرج إلى مفهوم غير عسكري إلا إذا قيدت « بالصفة » فيقال « استعمار اقتصادي » أو « استعمار سياسي » ويقصد بذلك سيطرة الدولة الكبرى على الدولة الصغرى اقتصادياً أو سياسياً عن طريق الارتباط بأحلاف أو معونات مشروطة إلى غير ذلك .

وهناك ملحظ قد يبدو شكلياً في ظاهره، ولكنى أراه مظهرًا من مظاهر الاستجابة غير المقصودة، أو الاستسلام « باللاوعى » للون من ألوان الغزو أو الاستعمار المعنوى، وأعنى بذلك استعمال الكتاب العرب والمسلمين لكلمتي « التبشير » و « الاستعمار »، وكان أولى بهم أن يستبدلوا بهما كلمتي « التنصير » و « الاستخراب » أو « الاحتلال » . لأن التبشير في مفهوم اللغة العربية يرتبط بكل ما هو طيب وسعيد وجميل^(٣٥) .

وكذلك كلمة « الاستعمار » فهي من العمار والتعمير، وهى تعنى جعل ما كان خراباً بواراً عامراً غنياً صالحاً للسكنى والاستثمار^(٣٦) . وهذا ما حققه « المستعمرون » فعلاً في الظاهر، ولكن كان كل أولئك بهدف استغلال الأمة المستعمرة، واستنزاف خيراتها، وجعل إنتاجها واقتصادها يميل دائماً إلى جانب « المديونية » أو « الاحتياجية » للدولة المستعمرة المستنزفة التى فرضت نفسها فرضاً بالقوة أو الخداع والدهاء^(٣٧) .

* * *

وقد آثرنا استعمال عبارة « الغزو المعنوى » على الاصطلاح المشهور « الغزو الفكري » لأننا نرى أن الأول أوسع مدلولاً وأكثر استيعاباً وشمولاً:

(أ) فهو يتسع للجانب الفكري أو الغزو الفكري بمفهومه الحاد المحدد الذي يتمثل غالباً في تشويه التراث العقلي والحضاري والثقافي والفلسفي للأمة لإحلال البديل الغربي، أو زرع أيديولوجية معينة كالشيوعية مثلاً .

(ب) وهو يتسع للجانب الروحي أو الغزو العقدي، ويتمثل في خلع عقيدة لإحلال عقيدة أو دين، والتبشير يرادف هذا الجانب على نحو من الأنحاء .

وهذان الجانبان يمثلان « الوجه الإيجابي » للغزو المعنوي . وأعني بالإيجابية « هنا القيام بدورين متكاملين : النزاع والإحلال . . نزع عقيدة لإحلال أخرى .

(ج) ولكن ما رأينا أن نطلق عليه « الغزو المعنوي » - في مقابلة الغزو المادي أو العسكري - يتسع لجانب « سلبي » . . وذلك حين ينجح - لظروف معينة إلى الاكتفاء بعملية « نزع » قد لا يتبعها عملية إحلال دين أو عقيدة لها طقوسها وملاحمها وأيديولوجيتها، بل قصاراه : نزع الدين الأصلي، وتدمير العقيدة الثابتة مما يترتب عليه الانصراف عن قيم هذا الدين وأخلاقياته، والجنوح نحو إنكار حقائق الدين والخلق والخالق . وهذا الدور السلبي للغزو المعنوي هو ما نسميه « بالتلحيد »^(٣٨) . فالهدف الأساسي هنا للغزو المعنوي هو التعويض الروحي والتخريب العقدي والتدمير الخلقي بصرف النظر عن « البديل » .

وليس معنى هذا أننا نهون من أهمية هذا الدور أو هذا الوجه من وجوه الغزو المعنوي : فمن البدهي أن الشخصية المدمرة روحياً وخلقياً . . . المفزعة عقدياً تكون مضعوفة الإرادة، منخورة العزيمة، مهذرة القدرة، ومن ثم تكون صيداً ثميناً سهلاً للمبشرين ودعاة الأيديولوجيات الوضعية . فإذا لم يتحقق الإحلال « قنع المبشرون أن يكون عملهم « الإنساني » قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين »^(٣٩) وهو أمر يحرص عليه المبشرون وخصوصاً عند العجز عن تحقيق أهدافهم، وتنصير ضحاياهم، وقد نقل عن الكاردينال لافيحي الفرنسي - وقد هاله سرعة انتشار الإسلام في أفريقيا « لأن يكون الإنسان بلا دين خير من أن يكون مسلماً »^(٤٠) . كما كتب أحد هؤلاء في جريدة « الكرستيان اكسبرس » التي تصدر في جنوب أفريقيا « . . . والحرب الكبرى ليست بين المسيحية والوثنية، بل بينها وبين الإسلام . . . »^(٤١) .

وبعد ذلك نستطيع بسهولة أن ندرك الوشيجة القوية بين هذا الجانب السلبي من ناحية وبين الجانب الإيماني بوجهيه السابقين من ناحية أخرى، فكثيراً ما يكون « التلحيد » - كما ألمحنا من قبل - هو الخطوة الأولى لتحقيق الهدف من الغزو الفكري - بالمفهوم الذي عرفناه آنفاً - وتحقيق الهدف من الغزو العقدي والديني،

وكلاهما ينتهي بغرس « البديل » .

ومن قادة التبشير من يرى أن هذا الجانب السلبي يجب أن يكون هو العمدة والأساس . . بل يجب أن يكون نصب عيون المبشرين قبل حرصهم على تنصير « الضحية المسلمة » ، وقد أكد هذا المعنى وألح عليه « القس زويمر » رئيس مؤتمر القدس التبشيري بقوله - مخاطباً المبشرين أعضاء الإرساليات التبشيرية :

« . . إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية - فإن في هذا هداية لهم وتكريماً . . وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه ! ! »^(٢) .

وهذا الكلام يمثل وثيقة خطيرة جداً وإدانة فاضحة للتبشير العالمي إذا يجعل تدمير أخلاقيات المسلم هو مهمته الأولى . . بل مهمته الوحيدة . . وذلك إذا كان التبشير في صورته المثلى التي أبرزها القس زويمر كما يجب أن تكون .

والكنائس النصرانية تغتبط بذلك أيما اغتباط ، لأنه « أخذ بالتأثر من الإسلام الذي اجتاحت ديارها قديماً ، كما أنه نوع من التعويض الآيس للخسائر الفادحة التي أنزلتها أوروبا الحديثة بالمسيحية »^(٣) .

وكلام « زويمر » يضع أيدينا على حقيقة أخرى ألمحنا إليها أكثر من مرة وهي أن التبشير كان ذا صلة قوية بالاستعمار ، وأن من أهدافه الكبرى خدمته والتمكين له .

والخلاصة أن « التبشير » هو الصورة الجديدة للاستشراق ، وتعبير أدق : هو الصورة الباقية من « الاستشراق » فقد كانت « الصليبية » مصدراً نفسياً وروحياً وعقدياً - ومادياً طبعاً لكثير من المستشرقين على مدار التاريخ .

وأصبح « التبشير » في وقتنا الحاضر يتمثل في عنصرين :
الأول : هو العنصر الأجنبي . . الأوروبي والأمريكي في هيئة قسس وعلماء وأطباء
ورجال أعمال ينطلقون لمباشرة مهماتهم في بلاد العالم الثالث وغاباته وأحراشه، مع
اهتمام خاص بالمناطق ذات الكثافة الوثنية .

الثاني : هو العنصر الوطني : ويتمثل في رجال الدين المحليين، وأغلبهم صنعهم
المستشرقون المبشرون على أعينهم، وكثير منهم تربوا في الكليات اللاهوتية في أوروبا
 وأمريكا .

وفي هؤلاء وهؤلاء . . وفي حركات التبشير الحالية نستطيع أن نرى بوضوح الملامح
والسمات الآتية :

١ - فمن ناحية الكم : نلمس كثرة العدد، وتجدد موجات التبشير وتوالى إرسالياته،
فقد بلغ عدد المبشرين « العالميين » طبقاً لآخر إحصائية مائتين وخمسين ألف
مبشر، في مقابل ألفين وخمسة دعاية مسلم على مستوى العالم كله .

٢ - البراعة والفاعلية والقدرة الفائقة على الحركة والتنفيذ، وذلك لأن حركات التبشير
وإرسالياته - وبخاصة الأمريكية والأوروبية - التي تنتشر في دول العالم الثالث
تتحرك وفي حوزتها :

(أ) رصيد ضخمة من المال فهي تنفق منه في بذخ في شتى المجالات : لا على
دعائها وعملاتها فحسب، ولكن في صورة بناء المراكز الثقافية، والمدارس
التبشيرية والمعونات الاجتماعية . كما سنرى في الفصل الثاني من هذا
البحث .

(ب) رصيد ضخمة من النفوذ السياسي، والثقل الاقتصادي، والسمعة العالمية
الرنانة، مما يدفع السلطات والحكومات المحلية إلى أن تيسر هؤلاء -
بالقصد أو بالترك والإهمال حرية الحركة بلا قيود أو شروط .

(ج) رصيد ضخمة من التقنية في وسائل الإعلام والدعوة فمنها : الكتاب
و« الكاسيت » المسموع، و« الكاسيت » المرئي، والأفلام السينمائية
والرحلات المنظمة . . إلخ .

(د) رصيد ذاتي ضخم للداعية المبشر من اللغات والثقافة الموسوعية زيادة على تخصصه الأصلي من طب أو زراعة أو هندسة . ويدخل في هذه الثقافة استيعاب كل ما يتعلق بالبيئة التي ستكون حقلاً لنشاط المبشر.

وقبل أن أودّع آخر صفحة في هذا الفصل أذكر القارئ أننا لم نقصد فيه إلى أن نؤرخ للتبشير والاستشراق، كما لم نقصد إلى التقييم المفصل الشامل، فكل أولئك يحتاج إلى كتب متعددة وجهود متأنية، وإنما قصدنا إلى إلقاء أضواء . . مجرد أضواء تكشف عن حقيقتهم، وأبعاد صورتهم توطئة إلى تبين آثارهما وبصماتهما. ونحن إذ نتنقل إلى بيان هذه الآثار، وتلك البصمات - المباشر منها وغير المباشر - نقرر ابتداء أننا سنلتزم بقيددين:

الأول : الإيجاز، والاجتزاء بالقليل من الأدلة والشواهد عن الكثير الغزير الذي غص به الواقع المشهود، وحفلت به عشرات الكتب التي كتبت عن الاستشراق والتبشير.

والثاني : أن يكون حديثنا عن التأثيرات في نطاق الشباب بصفة خاصة، فهذا هو جوهر البحث، ولن نخرج إلى التعميم أو التعميمات إلا إذا كان التأثير . . أو قصد التأثير في الشباب جزءاً من تأثير عام يشمل الشباب وغيرهم من فئات الناس. وهذا هو موضوع الفصل الثاني من هذا البحث، وإن شئت فقل « هو واسطته وجوهره ولبابه ».

الفصل الثاني

الآثار والبصمات

إن شباب الأمة - أمة - هو قوتها الشارة، وطاقتها الفوارة، وحركتها الفاعلة، ونبضها القوى الحي، إنه يمثل مرحلة السن الدائبة العاملة، ويمثل مرحلة الحماسة والنشاط والقدرة على التنفيذ، ويمثل مرحلة التطوع والطموح والإشباع.

والتاريخ يجبرنا أن العنصر الأساسي الفعال في الدعوات والحركات والثورات اهتمامها الأكبر إلى الشباب مستغلة طاقته الحية، وتطلعاته النفسية الآنية والمستقبلية، وحماسه وحيويته، لأنه في اعتناقه الدعوة أو المبدأ لا يكون مجرد أعداد أو أفراد تقاس بالكم، ولكنه يكون «قوة ديناميكية» فاعلة قادرة بقدر ما لها من الطاقة النفسية والحماسة والإصرار.

فلا عجب إذن أن تتجه قوى التبشير والتلحيد إلى عنصر الشباب بصفة خاصة، ولا عجب كذلك أن يكون «التعليم» وسيلتهم المثلى للتبشير أو التلحيد على حد سواء. والنظر إلى التعليم على أساس أنه الوسيلة الفعالة المثلى يرجع إلى اعتبارات أهمها :

١ - أن التعليم في ظاهره - على الأقل - «عملية حضارية» لتثقيف العقول، ونشل النفوس من ظلمات الجهل والتخلف والضياع، وهو حكم لا يختلف عليه الناس، ولا تختلف فيه الأديان، ومن ثم لا يكون هدفاً للنقد أو المنع أو التعويق.

٢ - أن التعليم - بسبب المساحة الزمنية التي يستغرقها وهي تمتد إلى ثلاث أو أربع سنوات في كل مرحلة - يمثل مجاًلاً خصيماً جداً للتقبل والنشبع والتطبيع العقدي.

داخل أسوار المدرسة أو الجامعة يمكن أن يقال « كل شيء » . . ويمكن أن يُلقن « أى شيء » ، اعتماداً على « برنامج » مدروس ، وموضوع ومخطط بعناية فائقة حتى يؤتى ثماره المرجوة، ونتائجه المنشودة .

وكان تركيز حركات التبشير على أفريقيا بصفة خاصة لأنها « القارة المظلمة أو السوداء » كما يطلقون عليها، والوثنية فيها أكثر انتشاراً من غيرها، واستجابة الوثني للتبشير أسهل - ولا شك - من استجابة المسلم، فالوثني ليس صاحب عقيدة لها منطقها القوي الذي يدفع به عقيدة أخرى. أو يغلق نفسه عنها، إنه في نظر المبشرين إنسان « جاهز » أو « مفرغ » من الداخل، واستعداده لتقبل « النصرانية » أكبر بكثير من استعداد غيره .

وهذا لا يعنى أن المبشرين يؤمنون بجدوى « التعليم » - كوسيلة لأداء رسالتهم التبشيرية - في أوساط الوثنيين فحسب، بل إن لهم مدارسهم التي تعد بالآلاف إن لم يكن بالآلاف - في عشرات من المدن الإسلامية .

وقد توسع المبشرون في زرع المدارس والجامعات، وأنفقوا ومازالوا ينفقون عليها الملايين . وتواجهنا في أفريقيا هذه الإحصائية المذهلة :
عدد المعاهد التعليمية التي أنشأها المبشرون في أفريقيا يبلغ ١٦٦٧١ معهداً، أما الكليات والجامعات فتبلغ ٥٠٠ كلية وجامعة، ويبلغ عدد المدارس اللاهوتية لتخريج القسس والرهبان والمبشرين ٤٨٩ مدرسة، أما رياض الأطفال فيتجاوز عددها ١١١٣ روضة . .

ويبلغ عدد أبناء المسلمين في هذه المؤسسات والمعاهد والذين يخضعون لهؤلاء المبشرين في تعليمهم وتربيتهم وتوجيههم أكثر من خمسة ملايين^(١) .

* * *

فإذا ما قفزنا إلى قارة آسيا، وألقينا الضوء على بلد إسلامي واحد هو « باكستان » وجدنا أيضاً أن « التعليم » هو الوسيلة المثلى للمبشرين، فهم يتصيدون الأطفال والشباب لتنصيرهم، أو زلزلة عقيدتهم . وتلطمنا إحصائية أشد وأنكى من الإحصائية

السابقة، وخلاصتها: أن أغلبية الطلبة في المدارس التبشيرية من المسلمين، إذ تزيد نسبتهم على ٨٥٪ من عدد الطلاب، وتفصيل هذه الحقيقة المذهلة يقول: إن مدرسة القديس « باتريك » في كراتشى فيها ٢٥٠٠ طالب منهم ٢١٠٠ مسلم، ومدرسة « القديس يوسف » فيها ٢٢٠٠ طالب منهم ٢١٠٠ مسلم، ومدرسة « القديس لورانس » فيها ١٢٠٠ طالب منهم ١٠٥٠ من المسلمين. وفي مدرسة « القديس جوز » ١٠٠٠ طالب كلهم مسلمون. ومدرسة المسيح الملك بها ١٠٠٠ طالب منهم ٧٠٠ مسلم. ومدرسة « القديس جون » فيها ٩٠٠ طالب منهم ٧٠٠ مسلم. أما مدرسة « القديس بونا » في حيدر آباد ففيها ١٦٠٠ طالب منهم ١٥٦٠ من المسلمين. وفي مدرسة « القديسة ماري » في حيدر آباد أيضا ١٦٩٧ طالباً منهم ١٥٥٨ من المسلمين.

وزيادة على ذلك تمارس الهيئات التبشيرية في باكستان أساليب أخرى في كبريات المدن مثل « كراتشى » و « لاهور ». وهو ما يمكن أن نسميه « بغزو المطبوعات »، حيث يباع في الشوارع والحارات والمنازل والمدارس ووسائل المواصلات « كيس بلاستيك » فاخر بداخله عشرة كتب. وحتى يقبل المسلمون على شراء هذه المجموعة الفاخرة جعلوا الكتابين الموضوعين في أعلى الكيس وأسفله لهما عنوان يشبه النموذج الإسلامي، أو على الأقل لا يُوحى بالفكر المسيحي مثل « الإيمان والعمل » و « زهور المعرفة »، وثمان المجموعة روبية واحدة (أى ما يساوي عشرة قروش مصرية). فإذا ما اشترى المسلم هذه الكتب على أمل أن يجد فيها ما توحى به عنواناتها وجد أن بقية الكتب أناجيل، واقتباسات من التوراة، وغير ذلك من الكتب المسيحية^(١).

* * *

وبهذه المجهودات « التعليمية » الدائبة تتحقق بالنسبة للشباب المسلم إحدى نتيجتين:

إما تشكيكه في عقيدته، وزعزعة ثقته فيها لتدمير أخلاقياته وقيمه الإسلامية.
وإما تحوله من الإسلام إلى النصرانية.

وهذا ما طرحه - أو طرح بعضه - « القس زويمر » رئيس مؤتمر القدس التبشيري في خطابه الموجه إلى المبشرين :

« .. إنكم أعددتُم نشأً في بلاد المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلون في المسيحية^(١) وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي : لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهووات ، وإذا جمع المال فللشهووات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يوجد بكل شيء .. »^(٢).

وهذه القناعة بإفساد الأخلاق وتدميرها يصل المبشرون إلى غايتهم القصوى وهي تمكين الدول الغربية من حكم البلاد الإسلامية^(٣).

وفي إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر كان المبشرون يوجهون عناية كبرى لجذب الشباب ، وإغرائه بالنصرانية عن طريق المؤسسات التعليمية وغيرها ، بل كانوا يستعينون بالسلطات الانجليزية ، والنفوذ الاستعماري في هذا المجال ، وبلغ من إسراف المبشرين وشططهم في مصر أن بعضهم اتهم اللورد كرومر - المعتمد البريطاني « بأنه كان حليماً يحابي المسلمين ، مع أنه كان يشجع التبشير بين المسلمين ، ويحمي القسس الأجانب والمبشرين .. وقد أراد المبشرون أن يكون كرومر صريحاً عنيفاً بطاشاً ، وكان ذا كيد خفي يتدخل شخصياً في التنصير ، من ذلك أن طالباً من القدس كان يدرس في الأزهر ثم صبا عن الإسلام إلى النصرانية ، فطلبه أبوه ، ثم حضر بنفسه إلى مصر ، فلجأ الابن إلى اللورد كرومر ، فاستكتبه اللورد كرومر وثيقة فيها أنه لا يريد أن يرجع مع أبيه ، ففعل .. »^(٤).

وفي مطالع الأربعينيات نشطت حركات التبشير في مصر ، ولم تعد تكتفي بالمدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية ، بل امتدت إلى مدن ومراكز وقرى أخرى كالإسماعيلية وبورسعيد وأبو صوير والمحمودية والمنزلة دقهلية . وقد تسرت هذه

السدعوات التبشيرية تحت ستار « التعليم والثقيف » أو ما يسمى « بمدارس السلام »، وكان تركيزها الأكبر على الشابات والشباب في سن المراهقة . . كما كان مرتعهم الخصب الأسر الفقيرة، إذ ينفذ المبشرون إليها بإظهار العطف الزائد، ومدّ هذه الأسر بالطعام والكساء والمال لجذب أبنائها وبناتها إلى مدارس السلام هذه، ثم يتم تنصيرهم، فإذا ما انكشف الأمر أمام الناس أو المسؤولين الرسميين لجأ المبشرون إلى تهريب ضحاياهم إلى مدن أخرى، كما حدث أن هربت خمس فتيات مسلمات من بورسعيد إلى مدينة المنزلة لإتمام تنصيرهن في مدرسة السلام البروتستانتية بعيداً عن أعين من يعرفهن. ويعرف أسرهن في مدينة بورسعيد، وكانت سن الفتيات ما بين الثانية عشر والرابعة عشرة، وواحدة فقط لم تتجاوز السابعة، وكلهن من الطبقات الدنيا التي لا تجد في الحياة الحد الأدنى من ضرورات العيش^(٣).



والتاريخ القريب يحمل إلينا كثيراً من الحقائق المؤسفة التي تصم التبشير بالتجرد من الإنسانية حين يتخذ المبشرون من «الإحسان» طريقاً - لا يقصد به وجه الله - ولكن هدفه «الأسمى» هو جذب الناشئة والشباب لقبول دعاواتهم ومعتقداتهم، ومن أعجب هذه الحقائق وأصرخها مسلك البعثات التبشيرية في السنغال «فهي توقع عقوداً مع عدد من الأسر السنغالية الفقيرة، تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية ضخيلة من الأرز مثلاً في كل شهر، على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تربية على حسابها. ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على ردّ ثمن المساعدات، وعلى دفع نفقات ابنها، ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلاً). وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبياً دون الخامسة من العمر، ثم ترسله إلى مدرسة تبشيرية، وينقطع الصبي عن أهله، وينشأ تنشئة مسيحية، ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام علمه العالي، بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا. وحينما يعود الصبي السنغالي الذي أصبح رجلاً مسيحياً فرنسياً إلى السنغال يمنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف^(٤).

ومن هذا يتضح - كما تذكر دائرة معارف التبشير Enc. of Missions أن القائمين على التبشير أرادوا أن يكون «للإحسان والتعليم مقام كبير في الخطط التي توضع لأعمال التبشير، على أن تكون وسائل فقط لا غاية في نفسها»^(١٠).

وعن الدور الخطير الذي تلعبه المدارس في تنصير الشباب يرى بعض المبشرين أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة في أوطانهم^(١١).

وبوضوح تام - لا يحتمل التأويل - يرى المبشر جون موط أن الأثر «المفسد» في الإسلام يبدأ باكراً جداً، لذلك يرى أن يحمل الأطفال المسلمون «إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية»^(١٢).

ثم كان المسلك العمل للمبشرين خير شاهد وأقواه على بعدهم عن الطابع الإنساني، وعن روح المسيحية السمحاء، بل كانوا ألصق الناس بالدنيا ومطامعها وزيتها، ففي أفريقيا بخاصة رأى الأفريقيون هؤلاء الأوروبيين يمارسون التفرقة العنصرية، وتجارة الرقيق والسخرة، وأبشع أنواع الاستغلال، في الوقت الذي يبشرون فيه بدين يحض على التسامح والمحبة والسلام، تلك المسيحية التي بشر بها السيد المسيح بين الطبقات الفقيرة الكادحة والتي لا تعرف تمييزاً عنصرياً، وقد اتجه أغلب المبشرين إلى تملك الأراضي واستغلالها بواسطة الرقيق، وانصرفوا عن التبشير، وفي كثير من الأحيان دخلوا في سلسلة من المؤامرات في سبيل الحصول على هذا الثراء.

كما اتخذت حركات التبشير الكاثوليكي - بصفة خاصة - جانب الاستعمار في الصراع الذي قاده الوطنيون مطالبين بالحقوق الوطنية والاستقلال^(١٣).

وكان هذا السلوك العمل اللا إنساني سبباً رئيسياً من أسباب عجز التبشير عن تحقيق الآمال والنتائج المنشودة كما خطط لها^(١٤).

ومن كل ما سبق نستطيع في سهولة أن نخلص إلى عدد من النتائج والحقائق أشرنا إلى بعضها في الفصل الأول، وأهمها:

١ - أن اختيار الناشئة والشباب لغرس بذور التبشير أو التلحيد كان اختياراً دقيقاً مبنياً على دراسة عميقة لها أسسها النفسية والتربوية والاجتماعية .

٢ - أن الصلة بين التبشير والتلحيد صلة وثيقة جداً بشهادة المبشرين أنفسهم، والخلاف بينهم لا يعدو كونه خلافاً في «الألوية»: فبعضهم يرى أن الجهود التبشيرية يجب أن تكثف التنصير، وكسب مسيحيين جدد، سواء أكانوا من الوثنيين أم المسلمين، فإذا لم تتحقق النتيجة المنشودة، فليكن العمل الجاد لتلحيد المسلمين وتدمير قيمهم وأخلاقهم، حتى لو لم يعتنقوا المسيحية . وآخرون مثل «القس زويمر» يرى أن المهمة الثانية يجب أن تكون في المقدمة، بل يجب أن تكون هي المهمة الوحيدة للمبشرين في أوساط الشباب المسلمين لأنهم لا يستحقون أن ينالوا شرف المسيحية .

٣ - أن الأعمال «الخيرية» - من إعانات مالية وعينية وتطبيب وفتح مدارس وغيرها مما أشرنا إلى بعضه - لم تقصد لذاتها، ولكنها كانت مجرد وسائل لتحقيق مآرب تبشيرية أو تلحيديه على سواء، ولم يقصد بها وجه الخير، ولا الحرص على النهوض علمياً وثقافياً وحضارياً وصحياً بالشعوب التي وسعت هؤلاء المبشرين .

٤ - أن الصلة القوية بين التبشير والاستعمار ليست مقولة تاريخية فحسب، إنما هي صلة تستمد وجودها من كون الأول وسيلة لترسيخ الثاني من ناحية، ومن الالتقاء على هدف واحد من ناحية أخرى، وهو الاستنزاف والتخريب مادياً كان أو معنوياً في جوانبه النفسية والروحية والأخلاقية .

٥ - أن المسلمين - بقصد أو بغير قصد، وسواء أدركوا أهداف التبشير أو جهلواها - يتحملون قدراً كبيراً من تبعه تشجيع التبشير، وخصوصاً في مجال التعليم بإلحاق أبنائهم بهذه المدارس، وقد رأينا أن نسبة الطلاب المسلمين في هذه البلاد في وطن مسلم مثل باكستان يتجاوز ٨٥٪ من مجمل عدد الطلاب، وهذا يعنى أن المسلمين لو امتنعوا عن إلحاق أبنائهم بهذه المدارس لأغلقت أبوابها .

بل لعلى لم أجنب الصواب إذا قلت إن مسؤولية المسلمين عن هذا الخطأ أو هذه الخطيئة أفدح بكثير من حظ المبشرين إن جاز لنا أن نجرّم أفعالهم، وهى حقيقة اجتماعية لا يمكن إنكارها. وكان الفيلسوف المسلم مالك بن نبي على حق حين قرر أن محصلة عوامل التخلف من جهل وفقر ومرض وأوثان وانحطاط وانتكاس في مجتمع ما بعد الموحدين أدت إلى الاستعمار. وبين أن الاستعمار ليس ظاهرة خارجية بقدر ما هو ظاهرة داخلية تدعمها أسباب اجتماعية، وأطلق على مجموع هذه العوامل التى تنحر المجتمع من الداخل اسم «القابلية للاستعمار»^(١٤).

وهذا يؤكد ما ألمحنا عليه من أن جنائتنا على أنفسنا أفدح بكثير من جناية هؤلاء المبشرين علينا.

والمقام لا يتسع لاستعراض كل الآثار المباشرة للتبشير في مجال التعليم بخاصة، ولعل ما أوردناه في الصفحات السابقة يكون قد أبان عما ابتغاه المبشرون وما اتخذوه من وسائل وعن دوافعهم وبواعثهم وأهدافهم وما تركته وتركه جهودهم من آثار على الشباب بصفة خاصة.

ولكن الأخطر من كل هذا هو تلك الرواسب الآسنة التى فرضت نفسها وتبناها وغذاها وروج لها من نطلق عليهم «موالى التبشير والاستشراق» ممن هم من أبناء جلدتنا... يتكلمون لغتنا... وكثيرون منهم يدينون بديننا.

وياسم المنهج العلمى وحرية الرأى والتفكير مسخوا وزيفوا وشوهوا. وكانت إفرازاتهم الفكرية خبيثة الطعم واللون والرائحة، وكان لها آثارها البالغة، ودورها الفعال في تدمير المفاهيم الصحيحة، وتشويه الحقائق الثابتة، وتخريب عقول أبنائنا وشبابنا. وكلها جهود وأفكار- أراد أصحابها أو لم يريدوا- تدور في فلك المقولات الاستشراقية والتبشيرية^(١٥)، بل تعد ترديداً وتكراراً لها، وإن اختلفت أساليب التعبير ووسائل الأداء. وحتى تأخذ المزاغم والافتراءات ما يمكن أن يوهم القارئ بأنه أسس ومرتكزات عريقة لا مانع أن يستند هؤلاء الموالى التبشيريين إلى أخبار وروايات تائهة هنا وهناك في كتب الأخبار وحكايات المجالس التى صنعها القدماء بهدف

الترفيه عن القراء وإمتاعهم .

وتتجه هذه الجهود - أول ما تتجه إلى النيل من القمم الإسلامية حتى يفجع الشباب المسلم في « نماذجه العليا » ، وحتى يبدو التاريخ الإسلامي وكأنه خلو من القدوة الفاعلة والأسوة الحسنة ، فيتحول إلى الغرب يلتبس فيه مثله الأعلى أو مثله العليا .

فالعصر العباسي يصور في صورة عصر يموج بالفجور والخمر والشذوذ والشعر الفاحش ، وبغداد في عهد هارون الرشيد بؤرة فساد وتهتك وعريضة وانحراف ، أما « هارون الرشيد » نفسه فهو صاحب « الليالي الحمراء » ، وهو نموذج للتهتك والعريضة والنهم الجنسي .

كل أولئك وغيره من الأكاذيب مسجل في كثير من كتب التراث القديمة^(١) ، وتلقفه المستشرقون ونفخوا فيه وجسموه وضخموه ، واحتضنه الموالى - وهم من جلدتنا - وشحنوا به الكتب الحديثة التي يقرؤها الناشئة والشباب في مدارسنا وجامعاتنا .

وحتى نفند هذه الشبهة وأمثالها وما دار في فلکها نجد لزاما علينا أن نبذ ابتداء - الحقائق الثلاث الآتية :

والحقيقة الأولى تتلخص في أن التاريخ الإسلامي - في كثير من جوانبه وموضوعاته كان ضحية مخطط صهيوني تبشيري مدروس أدى إلى تشويه كثير من معالمه ، وخصوصاً أزهى فتراته وأشجع شخصياته ، وللأسف أسهم كثير من مفكرينا بالغفلة أو الانبهار ، وبحسن النية أو بسوئها في نجاح هذا المخطط الخبيث .

والحقيقة الثانية أن المؤرخين المسلمين القدامى - على الرغم من دقة التحري ، وبراعة التحقيق عند الكثيرين منهم - اعتمدوا في تاريخهم على نقطتي ارتكاز هما : الحاكم والعاصمة : فهو تاريخ خلفاء وأمراء ووزراء ، وهو تاريخ الأحداث المرتبطة بهؤلاء في بغداد ودمشق والفسطاط ، ومن ثم كانت سقطة الأمير - أى أمير (اعتماداً على هذه الوجهة) تعنى سقطة نظام بأسره ، وأى مظهر من مظاهر الفساد في عاصمة كبغداد مثلاً يعنى - انطلاقاً من هذا المنهج أيضاً - فساداً ضارب الأطناب في كل

ولم يظفر الريف بحقه من كتابة هؤلاء ، وكذلك البادية ، وكذلك العامة ، إذا استثنينا اتهامات تشويقية خاصة لأبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ، وكذلك ابن خلدون في مقدمته ، وهو يستخلص بعض القواعد الاجتماعية في السياسة والحكم .

ومن أهم الأخطاء المنهجية الموضوعية التي زلت إليها أقلام كثير من مؤرخينا القدامى :

١ - الاستقرار الناقص : فاستخلصوا أحكاماً عامة من أحداث ووقائع فردية لا تنتج - بطبيعتها - هذه الأحكام .

٢ - الاعتماد - بصفة أساسية - في تحليل الوقائع والأحداث والظواهر - على الأسباب الظاهرة ، دون البحث عما وراءها من بواعث خفية . فليس من اللازم (اللازب أن يكون السبب الظاهر هو أقوى الأسباب ، بل قد يكون أضعفها على الإطلاق وأوهنها شأنًا .

٣ - الاعتماد أحياناً على السبب الفذ في تحليل الواقعة أو الظاهرة ، مع أن الوقائع والظواهر - وخصوصاً تلك التي تمثل تحولات كبرى في حياة الأفراد والأمم - لا يمكن أن ترجع إلى سبب واحد ، بل تتمخض عن مجموعة من الأسباب والعلل المتشابكة المتضافرة ، منها ما هو ظاهر . . ومنها ما هو خفى يحتاج إلى البحث الدقيق والتمحيص العميق .

٤ - التأثير بالتيارات السياسية والطوائع المذهبية ، مما يبعد المؤرخ والباحث بصفة عامة عن الموضوعية والحياد .

وأخطر هذه السقطات جميعاً السقطة الأولى التي تعنى إصداراً أحكام عامة إنطلاقاً من أحداث قليلة أو وقائع فردية كالحكم على الدولة كلها بالفساد اعتماداً على المنقول أو المشهود من بعض مظاهر الفساد في عاصمة أو قصر خليفة أو أمير .

فهى أن شخصية «هارون الرشيد» لم تكن فى واقعها الفعلى بهذه الصورة المشوهة الممسوخة التى عرضها موالى المبشرين وذوى الأهواء ، وقد رد ابن خلدون فى قوة على الذين اتهموا هارون الرشيد بالسكر والتهتك ، وتساءل مستنكرا « . . . وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ؟ وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ؟ وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات ، وشهود صلاة الصبح لأول وقتها ؟ .

وحكى الطبرى وغيره أنه كان يصلى فى اليوم مائة ركعة نافلة ، وكان يغزو عاما ، ويحج عاما . . . وقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبى نواس لما بلغه من انهماكه فى العاقرة حتى تاب وأقلع . وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق ، وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه بها . . . فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من أكبر الكبائر عند أهل المللة»^(١٧) .

ولكن المكابرة تدفع كاتبها محدثا^(١٨) فيتصدى لدفاع ابن خلدون عن الرشيد معتمدا على دليلين متهافتين :

الأول : أن ابن خلدون لم يورد من الإخبار عن الرشيد ما ينفى عنه معاقرة الخمر .

والدليل الثانى : أن الرشيد مات دون الخمسين ، مما يوحى بتأثير الخمر والتهتك على صحته ، فمات فى هذه السن .

وما ساقه شفيق جبرى لا يستقيم ردا منطقيا ، ولا يتمتع بأثارة من الصحة : لأن ابن خلدون - كما ظهر فى النص السابق الذى نقلناه من مقدمته زيادة على نصوص أخرى لم نوردها - يقطع فى وضوح بتدين الرشيد واستقامته وحرصه على العبادة فرضا ونافلة .

أما الدليل الثانى فهو أوهم من أن نقف عنده ، لأن الأعمار بيد الله وهى لا تخضع للاعتبارات المنطقية ولا المعادلات الرياضية : فمن التقاة الصالحين من يموت فى سن الشباب أو الكهولة كعمر بن عبدالعزيز الذى مات دون الأربعين ومن الفاسدين المنحرفين من يعمر كأبى نواس الذى عاش إلى ما بعد الستين ، وأبى الفرج الأصفهانى الذى مات بعد أن جاوز السبعين ولو كانت الأعمار بالصالح والتقوى لكان الأنبياء والرسل هم أطول الناس أعمارا ، ولقيست أعمارهم بالقرون لا بالعقود^(١٩).

فإذا ما تركنا التاريخ القديم ، وعبرنا القرون إلى التاريخ الحديث فإننا نرى راسبة أخرى من رواسب الاستشراق والتبشير تتبلور فيما يشبه الإجماع على مقولات ثلاث تتعلق بعصر واحد هو العصر الحديث ، وبفترة واحدة تكاد تنحصر فى الربع الأول من القرن العشرين ، وهى مقولات مقدرة فى كتب دراسية فى التاريخ والأدب على مستوى المدارس والجامعات^(٢٠).

وخلاصة هذه المقولات الثلاث التى يعتبرها أصحابها حقائق ثابتة :

- (١) الدولة التركية وخصوصا مرحلتها الأخيرة كانت نموذجا للظلم والظلام والغدر والتخلف والضياع .
- (٢) السلطان عبدالحميد كان نموذجا للضلال وضيق الأفق والظلم والاستبداد والسادية .
- (٣) مصطفى كمال أتاتورك كان بطلا مغوارا : فهو الذى أنقذ تركيا من الظلم ونشلها من الظلام ، وحقق لها انتصاراتها الباهرة على أعدائها من الغربيين واليونانيين .

ومن عجب أن يروج بعض هذا كتاب مسلمون لهم وزنهم فى الأدب والثقافة والفكر ، ومن هؤلاء عبدالرحمن الكواكى صاحب «طبائع الاستبداء» و «أم القرى» ، فتحت ركامات الأكاذيب الصليبية وانخدعا بأوهامها يزعم الرجل أن السلطان محمد الفاتح قد اتفق سرا مع «فرديناند» و «إيزابيلا» على تمكينها من إزالة

ملك «بنى الأحمر» آخر أمراء الدولة العربية في «الأندلس» ورضى بما جرى على خمسة ملايين من المسلمين من التقتيل والإكراه على اعتناق النصرانية ، فشغل أساطيل أفريقيا عن نجدة المسلمين ، وذلك في مقابل ما قامت به روما من خذلان للامبراطورية الشرقية عند مهاجمته مقدونيا ثم القسطنطينية .

ولو كلف الكواكبي نفسه قليلا من عناء البحث والتمحيص لعلم أن محمد الفاتح استولى على القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، وأن فرديناند وإيزابلا لم يعتليا عرش أسبانيا إلا عام ١٤٧٩ ، وقد توفي محمد الفاتح سنة ١٤٨١ ومملكة غرناطة الإسلامية لا تزال قائمة ، ولم تسقط في يد فرديناند وإيزابلا إلا سنة ١٤٩٢ ، كما أن مسلمى الأندلس لم يتعرضوا للتقتيل والتنصير إلا بعد ذلك بـ عدة أعوام . وكل هذه الحقائق التاريخية الثابتة تنفى عن محمد الفاتح تهمة هذا التواطؤ المزعوم^(٣) .

وعلى مدار السنين تضافرت الضمائر المخروبة والعقول المنكوسة . . تلد الأكاذيب والمزاعم ، وتتلففها أحضان الأسماع ، لتروجها الألسنة البيغوية ، ثم تلبس الأكاذيب ثوبا من الرداء ، وينمو الوليد ابن السفاح ، ويتسلل إلى بطون التاريخ وأقلام الرواة في غفلة من وعى المسلمين ، وصحوة الحراس ، وينمو «الوليد الأكذوبة» ليصير مسلمة من المسلمات ، وبدهية من البدهيات ينقلها الأساتذة الكبار إلى عقول الناشئة والشباب والناس في ثوب حقائق لا تقبل الجدل . وآه لو خلصت نواياهم ، وصفت قلوبهم ، وعادوا إلى المنشأ والنسب لعلموا أن «المسلمة المطلقة ، والحقيقة الباهرة» أكذوبة ولدت سفاحا في ليل منكر بهيم .

اكتب هذا وبين يدي من الكتب المدرسية والجامعية ، وغير الكتب المدرسية والجامعية ، ما يصور الخلافة العثمانية نكبة على الإسلام والعرب والمسلمين ، وتصور السلطان عبد الحميد سفاحا دمويا أما أتاتورك فهو البطل المنقذ المغوار . وتحت ركامات هذه الأكاذيب تنظمس الحقائق فلا يرى القارئ إلا الأكاذيب والترهات ، فأين وجه الحق ؟ وأين وجه الحقيقة في كل ما قيل ويقال ؟ .

ونشددنا للحق والحقيقة ننظر بعين منصفة محايدة إلى التاريخ لنشهد أن الدولة العثمانية قد سيطرت على الشرق العربي بدوله المختلفة قرابة أربعة قرون (١٥١٤ - ١٩١٤) . واستطاعت الدولة - التي كانت تجسيدا للخلافة الإسلامية - أن تثبت أقدامها في الوطن العربي طيلة هذه القرون ، وإن اختلف نفوذها في الدرجة من بلد إلى بلد .

وبفكر مفتوح ، وبشئ من التأنى والتبصر بعيدا عن الهوى والتخبط والحماسة الجوفاء تبدو هنا في تاريخ هذه الدولة عدة حقائق نلخصها في النقاط الآتية :

أولا : استطاعت الخلافة العثمانية أن تدافع عن الشرق العربي ضد الغزو الأوربي ، وأن توقف المدّ الصليبي الغربي طيلة أربعة قرون ، وقد كان من اللازم أن يتحول الوطن الإسلامي كله إلى قوة عسكرية هائلة لتواجه الموجة الصليبية العاتية التي أخذت تتجمع وتتكثف بعد نهضة الشعوب الأوروبية ، وبداية الكشف الاستعماري ، في وقت تعالت فيه الأصوات الصليبية المنكرة مطالبة باستعادة بيت المقدس ، بل إن أحد القادة الغربيين نادى بضرورة الزحف إلى مدينة الرسول ، ونش قبر محمد ، ووضع عظامه - كأثر تاريخي - بمتحف اللوفر بفرنسا .

صحيح أن الدولة العثمانية لم تستطع أن توقف هذا المدّ إلى النهاية ، ومع ذلك يبقى لها فضل الصمود المشرف ، وإلحاق هزائم منكرة بالدول الأوربية الصليبية مجتمعة ، مما يعد نقاطا وضيئة في سجل التاريخ الإسلامي ، ومن ثم أخرت الاستعمار الغربي ، وأعاقت تقدمه نحو الوطن العربي ، وإن لم توقفه إلى الأبد .

ثانيا : لم تكن البلاد العربية والإسلامية تنظر إلى الدولة العثمانية كدولة استعمارية متسلطة - كما كانت تنظر فيما بعد إلى فرنسا وإنجلترا وأسبانيا - بل كانت تنظر إلى الخلافة التركية كضرورة يجب أن تظل وتبقى في مواجهة عالم صليبي منهدم . وثمة أدلة واقعية تاريخية كثيرة تؤيد هذه النظرة وذاك التكتيف ، ومنها على سبيل المثال .

١ - أن الجزائر قد دخلت باختيارها في الدولة العثمانية ، وكذلك أمراء لبنان وشريف مكة .

- ٢ - أن أهل المغرب قد رفضوا أن يكونوا جنودا في جيش المماليك لمقاتلة السلطان سليم لأنهم - على حد قولهم - « لا يقاتلون إلا الفرنج أعداء الإسلام »^(٣٣).
- ٣ - أن العرب والمسلمين من جميع الأجناس قد اشتركوا اشتراكا فعليا مع الأتراك في حروبهم المختلفة ، فإذا ما ظهرت نذر الحرب بين تركيا وروسيا مثلا - رأينا الأمداد - كما يقول الدكتور محمد حسين ، تنهال على تركيا بالمؤن والرجال من سائر الأقطار الإسلامية ، وينبث الدعاة في كل مكان يحرضون الناس على الدفاع عن الإسلام حتى تبلغ دعوتهم الهند والصين»^(٣٤).
- ٤ - وقد كان التعاطف الوجداني مع الدولة العلية كرمز للخلافة الإسلامية واضحا قويا ، فالنزعة الإسلامية كانت غالبية على العصبية الجنسية والرابطة القومية وبخاصة في مصر ، ولذلك لم يجد المصريون غضاضة في الاعتراف بسلطة الخليفة التركي . وحين ثار عرابي على فساد وأساليب الحكم في مصر وعلى تغلغل النفوذ الأجنبي فيها لم يخطر بباله أن يخلع طاعة الخليفة ، أو يخرج عليه ، بل هو يخطط خطواته معلنا أنه يستمد من الخليفة السلطة والبركة في كل ما يفعل .

ومن ناحية أخرى كانت منشورات الخديوى توفيق تستعين على تنفير الناس من عرابي بتصويره «خارج على الخلافة عاصيا أوامر أمير المؤمنين» .

وزعماء الوطنية المصرية الذين لا يشك في إخلاصهم ، والذين كافحوا وعاشوا في سبيل القضية المصرية كانوا يبدون دائما ولاءهم الخالص لخليفة المسلمين عبد الحميد ، فمصطفى كامل كان يرى فيه ، أعظم سلطان جلس على أريكة آل عثمان ، ووجه عنايته لإبطال مساعى الدخلاء . وتطهير الدولة من وجودهم^(٣٥) وقد يغلو الزعيم الشاب فيذهب إلى أن «بقاء الدولة العلية ضرورى للجنس البشرى . وأن في بقاء سلطانها سلامة أمم العرب ، وأمم الشرق»^(٣٦).

وكان محمد فريد « خليفة مصطفى كامل متفقا معه في أن مؤازرة مصر لتركيا هي السبيل الأمثل إلى مناهضة المستعمرين »^(٣٧).

والذى يطالع أدب هذه الفترة وبخاصة الشعر - يلمس بأن نظرة العرب والمصريين إلى تركيا والخليفة العثمانى كانت نظرة تعاطف ومحبة وتجلة وتعظيم . وقد أنشد شوقى - أمير الشعراء - أحسن مطولاته الشعرية فى الخليفة العثمانى وانتصارات الأتراك . ومنها مطولته الملحمية المشهورة التى مطلعها :

بسيّفك يَقلُّو الحقَّ والحقُّ أغلِبُ ويُنصِرَ دينُ اللهِ أيّانَ تضربُ

ثالثا : أن تاريخ هذه الفترة - على قريها لم يكتب الكتابة الوافية الشاملة حتى الآن ، فما زالت هناك خفايا لم يكشف عنها النقاب ، وما زالت هناك مواقف تحتاج إلى تفسير ، وشخصيات تفتقر إلى استجلاء . فالغربيون الذين كتبوا تاريخ هذا العصر أعماهم التعصب عن ذكر كثير من الحقائق أو إنصافها ، وانساق كثير من كتاب العرب والمسلمين يتلقفون هذه الافتراءات دون تبصر أو تمحيص ، ويطلقونها كالمسلات أو الأمثلة السائرة .

إلا ان بعض الركam المنكود بدأ ينهار - فيكشف عن كثير من الحقائق المجهولة التى شاء أعداء الإسلام والعرب أن تظل مجهولة ، وهى فى مجموعها نعم الصليبية وتدمغ الصهيونية العالمية التى كانت تعمل على تقويض الخلافة العثمانية طبقا لمخطط مرسوم :

فأيسر ما يقال فى هذا المقام أن تاريخ هذا العصر فى حاجة إلى إعادة نظر ليكتب من جديد بدقة وتعمق ، فى ضوء ما أسفرت وتسفر عنه الأيام من أدوار خبيثة لعبتها الصهيونية العالمية بخاصة : قليل منها على سبيل الجهر والعلانية ، وأغلبها أدى خفية ... فى الظلام ... من وراء الكواليس ... بمهارة فائقة .. واتقان لا يبارى .

وقد يؤيد ما ذهبنا إليه أن الجمعيات والتنظيمات التركية التى ضمت العناصر المناهضة للسلطان عبد الحميد نشأت فى سالونيك (مقدونيا) ، وكان نصف سكانها تقريبا من اليهود ، كما كانت هذه المنطقة تزخر بالقوميات البلقانية وكانت كذلك أكثر

اتصالا بالعالم الأوروبي ، ومن هذه الجمعيات جمعية (الوطن) التى أسسها مصطفى كمال (أتاتورك) سنة ١٩٠٦ ، ثم سماها (الوطن والحرية) ومنها (الجمعية العثمانية) التى كان يتزعمها أنور ونيازى .

وقد ثبت بالوثائق الدامغة أن هناك علاقة قوية بين حركة تركيا الفتاة والماسونية . والصلة بين المحافل الماسونية واليهودية العالمية معروفة ثابتة . وكان فى مقدمة الوفد الرباعى الذى تقدم للسلطان عبد الحميد حاملا وثيقة العزل . المحامى اليهودى الصهيونى «عمانويل كارسوافتوس» وهو أحد قادة الحركة الماسونية فى سالونيك^(٢٨) .

وقد حاول اليهود بشتى الوسائل ، وبكل ماله من ثقل عالمى أن يُدخلوا إلى فلسطين ولو عددا محدودا من اليهود ، وأن يتملكوا بعض الأراضى ، ولكن السلطان عبد الحميد رفض فى قوة كل هذه المحاولات .

وأخذ «هرتزل» يتردد على الاستانة ما بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٠٢ ليقنع السلطان عبد الحميد بفكرة الاستيطان الجزئى لبعض اليهود فى فلسطين ومنحهم بعض أرضها مقابل مبلغ ضخم من المال تفرج به الدولة ضائقها المالية ، ولكن عبد الحميد السلطان المسلم رفض فى إباء كل عروض الصهيونى الخبيث وكتب «هرتزل» فى يومياته ماقاله السلطان المسلم بالحرف الواحد ، ومنه « . . . إنى لست مستعدا أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى غير أهلها ، فالبلاد ليست ملكى ، بل هى ملك شعبى الذى روى أرضها بدمائه ، وليحتفظ اليهود بملايينهم الذهبية . . . »^(٢٩) .

ومن هنا نستطيع أن ندرك فى يسر سرّ التنظيمات التى قامت تناهض الخلافة والسلطان ، وسرّ حرص اليهود على عزل عبد الحميد . ونستطيع أن ندرك كذلك سر هذه الصورة المشوهة التى رسمتها الصليبية والصهيونية للسلطان التركى : فهو زير نساء ، وسفاح ، ومتعصب ، وضيق الأفق . . . الخ .

ولكن الله هياً لكشف بعض الحقائق غريباً منصفاً تجرد من التعصب ، ليفند هذه المفتريات هو «فمبرى المجرى» الذى شهد لعبد الحميد بالتواضع ، والبعد عن البذخ ، وذكر «فمبرى» أنه بحث واستقصى بنفسه كل ما نسب لعبد الحميد من نقائص فوجد أن كل ما سمعه اختلاق أو مبالغة أو غلو^(٣٠) .

ويشاء الله أن ينشر - من بضعة أعوام - كتاب مدعم بالوثائق ، يهتك الأستار عن «الغازى» مصطفى كمال اتاتورك ، وهو كتاب «الرجل الصنم»^(٣١) . وأقتطف من الكتاب بعض الحقائق التى تكشف عن حقيقة هذا البطل الزائف :

١ - عاش طيلة حياته سكيراً عريداً فاسقاً حتى أصيب بسيلان مزمن ، وقد نقل هذا المرض لزوجته لطيفة هانم^(٣٢) . وأكثر من ذلك كان مصاباً بالشذوذ الجنسى - يقول مؤلف الكتاب «وفى إحدى الأمسيات فرح إسماعيل^(٣٣) وزوجته «ملاحت» إلى شرفة قصر «خانقايا» - قصر الغازى ، ففوجئاً بمنظر «وداد» - أحد موظفى القصر - وهو « . . . » بمصطفى كمال بجانب إحدى الأشجار ، فأسرعاً باستدعاء «لطيفة» التى صعقت ، وجابهت «الغازى» بما رأت ، وقال له : لقد رأيت كل شئ فىك ، وتحملت كل شئ ، ولكنى لا أستطيع تحمل هذا «فطلقها مصطفى بقرار من مجلس الوزراء»^(٣٤) .

٢ - وكان خسيساً غادراً سادياً نرجسياً يوثن ذاته ، ولا يرضى أن يعارضه أحد ، ويُذكر أن الجناح المعارض فى المجلس الوطنى كان على رأسه السيد على شكرى الذى كان ضابط ركن فى البحرية ، ونائباً عن ولاية ، «ترابزون» . فاستدعاه مصطفى بوساطة رئيس الحرس الشعبى «توبال عثمان» حيث خنقه وألقى بجسده داخل «شوال» فى إحدى الحفر . أما «توبال عثمان» فقد كان جزاؤه رصاصات أطلقت عليه من الخلف حتى يموت سره معه^(٣٥) كما قام بمذبحة ضد الاتحاديين بحجة محاولة اغتياله فى أزمير^(٣٦) .

٣ - وكان خائناً لأُمته ، فقد سلم أحد الممرات الاستراتيجية إلى «الجنرال اللبى» مما مكّنه من ضرب الجيوش التركية فى سوريا ، وأصبح هو فى نظر الانجليز عنصراً يمكن كسبه إلى جانبهم ، وتوجيهه إلى الهدف المراد فى كل وقت^(٣٧) .

كما أنه باع «أذربيجان» إلى البلاشفة مقابل المال ، وذلك عندما طلب من «الأذربيجانيين» ، بدخول الجيوش الروسية بحجة أنها متوجهة إلى مساعدة تركيا ، وعندما دخلوا بهذه الحيلة إلى «أذربيجان» لم يخرجوا منها ، ولم يرسلوا جيوشا إلى تركيا . وكان خليل باشا هو واسطة هذه الخيانة ، وهو عم أنور باشا المعروف^(٣٨).

٤ - وكان جبانا رعيدا - على غير ما اشتهر به - ينقل رضانور عن المارشال فوزى جاقمان أحد رفاق أتاتورك أنهم كانوا جالسين في مجلس الأمة الأعلى ، فظهرت عبر النافذة الخلفية للبناء سحابة كبيرة من الغبار كأنها صادرة من عشرات الألوف من الأقدام المسرعة من ناحية السهل . وعندما رأى مصطفى كمال هذا المنظر تهاى للهرب قائلا «هذه جيوش الخليفة آتية . . .» ثم ظهر أنه لم يكن هناك سوى قطيع كبير من الغنم^(٣٩).

٥ - وعاش لصا مختلسا : فقد سرق نصف مليون ليرة انجليزية أرسله اليهود معونة لتركيا^(٤٠) وباع بعض أراضيه بألف ضعف ثمنها الأصلي لبعض الوزارات^(٤١) واغتصب لنفسه منجم الفحم رقم ٦٣ في «زونكولدان»^(٤٢).

٦ - ولم يكتف بإلغاء الخلافة الإسلامية ، ونقض عرى الإسلام عروة عروة ، بل عاش طيلة حياته حاقدا على الإسلام ونبيه ، وهناك عشرات من القصص تدل على ذلك ، لعل أطرفها وأمرها القصة التالية :

كان مصطفى في فندق «بارك» وعلا صوت المؤذن بالأذان في المسجد الصغير الكائن أمام الفندق مباشرة . فالتفت أتاتورك إلى من حوله قائلا :
... من قال بأننا مشهورون ؟ وما شهرتنا نحن ؟!! انظروا إلى هذا الرجل (يعنى سيدنا محمدا عليه السلام) وماله من اسم وشهرة ، فيكرر اسمه في كل لحظة ، وفي جميع أنحاء العالم ، إذا أخذنا فرق الساعات بنظر الاعتبار .

وأمر بهدم منارة هذا المسجد^(٤٣).

رابعاً : وأخيراً : كان سقوط الخلافة العثمانية نتيجة لمجموعة من الأسباب الخارجية والداخلية^(١١) تضافرت وتكاثفت جميعاً ، وبتخطيط مدروس ، فكانت هذه الأسباب أقوى من أن تصمد لها دولة . . أية دولة ، وقد استطاعت أوروبا الصليبية ، والصهيونية العالمية أن تصنع لها عملاء من الداخل : عرباً ويهوداً وأتراكاً . واستغل أعداء الدولة سوء الإدارة في بعض الولايات ، وغباء السياسة عند بعض الولاة الأتراك ، فاتخذوا كل ذلك - بعد أن جسموه وبالغوا فيه - ذريعة للانقضاض الى انتهى بتصفية الخلافة ، وتوزيع تركية « الرجل المريض » .

ولكن أعدى أعداء الخلافة الإسلامية ، وأشد الناس إيماناً بالعلمانية لا يستطيع أن ينكر حقيقتين :

الأولى : أن تركيا الخلافة ، وهى فى أضعف حالاتها ومواقفها ، وفى أواخر أيام «الرجل المريض» - كما يحلو للصليبيين واليهود أن يطلقوا - أقول : إن تركيا - حتى فى هذه الفترة المتأزمة الحرجة - كانت لها «شخصيتها الشاذة العزيزة الأبية» ، ولم تكن «تابعة» أو «ظلاً» لدولة أخرى على نحو من الانهائ ، كما حدث لها بعد أن «تخلصت» من الخلافة على أيدي «الأحرار التقدميين» .

والحقيقة الثانية : أن شعوب الأمة العربية لم تقاس من الحكم التركى «المتخلف» مثلما عانت وتعانى فى ظل حكومات «عربية تقدمية»

وراسبة أخرى من رواسب الاستشراق المتعصب ، والتبشير البغيض تلقن لنشئنا وشبابنا تلخيص فى مقولة (القومية لا الدين) أو عزل الدين عن الدولة ، أو يمكن بأن نسميه «بعلمانية الاعتقاد» ، وكهم رقصوا شبابنا على بيت شوقى .
الدين للديان جلّ جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما

فليعيش الدين بسلام حول أضرحة الأولياء ، وتحت قباب المساجد ومآذنها . . .
نعم . . . ليكن صلة طيبة وثيقة بين العبد وربّه ، لأن تحكيم الإسلام فى شئون

السياسة والحكم والمجتمع يؤدي إلى فتنة طائفية . ويخلق التماحون بين عنصري الأمة مسلمين وأقباطا .

وهي مقولة غربية ينكرها بعض الأقباط العدول أنفسهم . وقد تناسى دعاة «عزل الدين» بدهيات وحقائق . . هم يدركونها جيدا . . ونوجزها في السطور الآتية :

١ - يدعو الإسلام إلى التجميع لا التفريق ، وأقباط مصر بالذات عاشوا بجلود ممزقة ونفوس مفزوعة تحت سياط الرومان «المسيحيين» كما أنهم لم يذوقوا طعم العدل والمساواة إلا في ظل الحكم الإسلامي .

٢ - والمسيحيون لن يضاروا إذا حُكمت الشريعة الإسلامية في دولة تسعة أعشارها من المسلمين . والجميع يعلمون أن المسيحية لم تأت بنظام سياسي حتى يقال : ولماذا لا يكون للنظام السياسي المسيحي نصيب في شئون السياسة ونظام الحكم ؟ فمن القواعد الأساسية في المسيحية «دع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر» .

٣ - وليس في تحكيم الشريعة الإسلامية حجر على الكنيسة المسيحية في مجال العبادة والتربية والدعوة والأحوال الشخصية وتحصيل المعاش . أما ما يبقى من قواعد الإسلام في مجال الحكم والسياسة والاقتصاد - وكلها قواعد تتدفق بالعدالة - فليأخذ المسلم نفسه بها دينا ، وليتقبلها المواطن المسيحي قانونا ، وليس في ذلك ما يوقع في حرج ، أو يدعو إلى فتنة أو انقسام .

٤ - والإسلام - وإن كان دينا عالميا جاء لكل زمان ومكان - كتابه عربي ، ونبيه عربي ، ونزل أول ما نزل - في أرض عربية ، وخاطب - أول ما خاطب عربا أقحاحا ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم «إذا ذل العرب ذل الإسلام» ، وقد حدد عليه السلام معنى «العروبة» إذ فسرها بأنها «اللسان» وذلك في قوله - عليه السلام - . «وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»^(٥٠) .

عربية الكتاب . . . عربية النبي . . . عربية الأرض . . . عربية الناس . . . لقد كانت هذه «العربية» الرباعية هي منطلق الإسلام إلى

«العالمية» فى شتى جوانب الحياة . فإذا كانت فلسفة القومية العربية ترتكز على الاعتزاز بكل ما هو عربى لغة وقيما وجنسا وأرضا . فلماذا هؤلاء من الإسلام ؟ مع أن كل ما يعتزون به - إذا ما ابتعدنا عن الشطط والتعصب - كان ومازال من أصوله وجواهره .

٥ - والوطنية والقومية بمفهومهما الاعتزازى الذى يعنى حب الأرض والوطن والحرص على صلات القربى والجوار ، بعيدا عن التعصب الأعمى والإسراف المزرى والتشدد والتزمت . . . هذا المفهوم . . . لا أقول يتفق مع الإسلام فحسب بل أقول : إن الإسلام يدعو إليه ويلزم المسلمين به .
لقد هاجر النبى - عليه السلام - من مكة إلى المدينة ، وفى قلبه حسرات لفراق مكة ، وكان يناجى مكة - أحب بلاد الله إليه على حد قوله - ويدعو الله أن يعينه على هول الدنيا وبوائق الدهر ، ومصائب الليالى والأيام ، وأن يصحبه فى سفره ، ويخلفه فى أهله .^(٦)

٦ - وعزل الدين عن الدولة فى أوروبا كان له ما يبرره فى الطبيعة الذاتية للدين المسيحى ، وفى المسلك العملى التسلطى للكنيسة ، وهو مالا يتوفر بأى فى الطبيعة الشمولية للإسلام من ناحية ، وفى الواقع التاريخى للمسلمين من ناحية أخرى ، ولو تعمق دعاة العلمانية «جواهر المسيحية» ، وجوهر الإسلام ، ولو تعمقوا حقائق الأمور، وحقائق التاريخ ، لأدركوا أن الإسلام - كما يقول الدكتور محمد البهى - لو كان فى أوروبا لما نشأت العلمانية فى الفكر الأوروبى ، ولما وصل تفكير بعض المفكرين فى أوروبا إلى التطرف فى المادية ، والجنوح إلى شحن النفوس بالأحقاد ، ودفعها إلى الانقلاب الدموى لحل بعض المشاكل الاجتماعية^(٧) .

فلماذا إذن الحرص على العلمانية فى حياتنا الفكرية والعملية ؟
إن هذا الحرص إن جاء من حاكم فهو لعدم أهليته للحكم ، وللهرب من المسئولية التى يلقيها الإسلام على الحاكم كحاكم فى طلب الاستقامة فى السلوك ، وأداء أمانة الحكم والعدل والشورى المتبادلة والرعاية ، وليس التسلط .

وإن كان من مفكر : فهو قصور في معرفة الإسلام ، وخداع نفسه وغيره بعرض قضايا يدرك أطرافها فقط ، دون جوهرها وغايتها .

وإن كان من سياسى : فهو للتلاعب بالفكر غير الناضج ، والتمويه في حلبة المنافسة السياسية .

وإن كان من فتى وفتاة : فهو التحلل من التزام الإيمان في التوجيه والسلوك ، والانطلاق في شهوة البطن والفرج والملبس^(٤٨) .

وقد تأخذ الدعوات المادية أو العلمانية صورة أضيق ، ولكنها سيئة في آثارها ، بشعة في نتائجها ، وهى «فصل الأعمال عن الأخلاق» ، وهى دعوة لها وجودها العملى - للأسف - حتى فى أوساط العامة ، فيقال : ليست تهمنى أخلاق فلان ، وإنما تهمنى أعماله . كأننا يمكن أن ينفصل هذا عن ذاك ! ! وهذا التجزئ خطأ علمى ، فضلا على آثاره الاجتماعية الفظيعة ، فحقائق الحياة كل لا يتجزأ ، ولا يتعارض إلا فى العقول الصغيرة ، والقلوب الصغيرة^(٤٩) .

. وكيف يتفانى فى عمله من حرم فضيلة الإخلاص ؟ وكيف يسدد دينه من يكفر بخليقة الوفاء ؟! وكيف يطبب مريضا ، ويعمل جاهدا ساهرا لتخليصه من آلامه من حُرْم الرحمة والشفقة ؟ .

نعم : إن الإسلام شئ غير هذا المعنى الذى أراد خصومه والأعداء من أبنائه أن يحصروه فيه ، ويقيده به ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، وسماحة وقوة ، وخلق ومادة ، وثقافة وقانون . والمسلم مطالب بحكم أن يعنى بكل شئون أمته ، « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »^(٥٠) .

فإذا ما تركنا المفاهيم المشوهة المعكوسة للدين ، والمحاولات الملحة الدائمة لعزله عن واقع الحياة لإحلال البدائل الموكوسة المنكودة . . إذا ما تركنا كل أولئك ، ونظرنا

إلى الدين كمادة دراسية يطلق عليها مادة «التربية الدينية»^(٥١) . . . وجدنا مثلاً صارخاً للتأثير غير المباشر، أو بتعبير أدق «التأثير الصامت بالاستجابة للتبشير والمبشرين» . وحتى نستطيع أن نتيين مفهوم هذا الحكم ومدى صحته نبدأ القصة من أولها :

قررت وزارة التربية والتعليم المصرية - أن تكون «التربية الدينية»^(٥٢) مادة أساسية في كل مراحل التعليم . فما حقيقة هذه الدعوى . أو هذا الادعاء ابتداء من التفسير اللغوي وانتهاء بالواقع الذى تعيشه هذه المادة التربوية في مدارسنا ؟

إن كلمة «أساسية» منسوبة «للأساس» ، وهذا يعنى بالمفهوم اللغوي أنها تدخل في «أصل البناء التعليمي» بكل المراحل التعليمية ، وأنها تمثل جزءاً أصيلاً في كيانه مثل الطبيعة والكيمياء والرياضيات واللغة العربية ، أى المواد التى يجب أن يحصل الطالب فيها على نسبة خمسين فى المائة من الدرجة الكلية ، أو ما يقارب هذه النسبة حتى يُعد ناجحاً . كما أن درجة كل مادة من هذه المواد الأساسية تمثل جزءاً من المجموع الكلى لدرجات الطالب .

وهذا يعنى - بمفهوم المخالفة - أن مادة التربية الدينية ليست من المواد الفرعية أو الإضافية كالتربية الرياضية ومواد المستوى الخاص^(٥٣) .

فإذا سألنا عن «الموقع الحقيقى» لمادة التربية الدينية بين هذين النوعين من المواد الدراسية ، وصلنا إلى نتيجة غريبة تدعو للأسف ، وهى أنها مادة ليس لها من القيمة الفعلية - على أساسيتها المدعاة - ما للمواد الإضافية : فهى مادة رسوب ونجاح - هكذا يقولون - والطالب لا يعد ناجحاً فى هذه المادة إلا إذا حصل على أربعين فى المائة - على الأقل - من الدرجة الكلية ، ولكن درجاتها لا تضاف إلى مجموع درجات الطالب لا فى سنوات النقل ، ولا فى الشهادات العامة !! .

وكذلك لا تعامل «التربية الدينية» معاملة مادة ، التربية الفنية فهى تضاف إلى مجموع درجات الطالب . بل إنها لا تعامل معاملة مواد «المستوى الخاص» وهى

المواردف التى قررت « لتحسين المجموع » ، فطالب الثانوية العامة يختار بعض هذه المواد وتضاف درجتها إلى مجموعه إذا كانت ٥٠٪ أو أكثر .

ثم إن نصيب « التربية الدينية» فى خطة الدراسة - بالمرحلة الثانوية - حصتان فى الأسبوع ، وهما غير كافيتين إذا نظرنا إلى هذه المادة نظرة منصفة من جانبها :
التربوى السلوكى والعلمى المعرفى .

هذا إلى ما يحدث أحيانا فى أواخر العام الدراسى من تخفيض الخطة فى بعض المدارس مع الجدول الصيفى لتصبح الحصتان حصّة واحدة فى الأسبوع .

وأخيرا لا تفوتنى الإشارة هنا إلى التساهل المفرط فى تقدير درجات «التربية الدينية» فى الشهادات العامة بصفة خاصة ، فقد أصبح من البدهيات المسلم بها أن الطالب من حقه «أن ينجح» فى هذه المادة مادام فى ورقة إجابته سطور محبرة ، بصرف النظر عن قيمة المكتوب الذى لا يعدو غالبا عبارات انشائية لا يكاد يربطها بالدين أوهى رباط .

وترتب على كل أولئك استهانة صارخة من الطلاب بهاده التربية الدينية : فهم لا يحفظون الآيات القرآنية المقررة ، بل إن الغالبية العظمى من الطلاب لا يفتحون كتاب التربية الدينية إلا ليلة الامتحان ، يلقون على صفحاته نظرات خاطفة . . . وينامون ملء جفونهم ، لأنهم يدركون أن «النجاح فى الدين» مضمون . . .

ولا أعدو الحقيقة إذا قلت إن كثيرين من الذين يقومون بتدريس التربية الدينية لا يقلون استهانة بهذه المادة «المظلومة» عن طلابهم .

- وليس وراء تدريس هذه المادة حافز مادى من دروس خصوصية أو مجموعات دراسية توفر للمدرس دخلا إضافيا ، مما يدفع المدرسين إلى التهرب من تدريسها .
- وطبيعة المنهج والتخطيط المتميع غير الجاد تدفع مدرسى اللغة العربية إلى الجور على حصتى التربية الدينية أو حصتها لتدريس فرع من فروع العربية إذا ما ضاق

وقتها عن استيعاب «الكمّ» المطلوب منها . بل إن مدرسى المواد الأخرى - التجريبي منها والإنساني - يقومون في أيام الضيق بمثل هذا الجور ، ولكن بطريقة « التفاهم الودى» مع السيد مدرس التربية الدينية .

نتيجة مؤسفة ، وتناقض غريب ، وخداع للنفس والحقيقة ، ومع ذلك يصر المسئولون على أن التربية الدينية «مادة أساسية» في كل مراحل التعليم !! .

وقد تناقشت مع بعض المسئولين عن هذه المادة^(٥٤) ، وكان سؤالى الرئيسى فى أثناء الحوار : لماذا لا تطبق «الأساسية» على مادة التربية الدينية بمفهومها الدقيق ؟ ومن مستلزمات ذلك إضافة درجة التربية الدينية على مجموع الدرجات فى سنوات النقل والشهادات العامة ، حتى يشعر الطلاب بجديّة «الأساسية» التى توصف بها المادة ، وحتى يشعر الطلاب بأن وراء مجهودهم المبذول عطاء منصفاً يرجح كفتهم إن صدقوا فى بذل هذا المجهود .

وكان الجواب .. أو الاعتذار غريباً .. وخلاصته :

١ أن «أساسية» الدين لا تتمثل فى درجة تمنح ، ولكن فى تركيز الأساتذة على السلوكيات والجوانب العملية فى نطاق المدرسة ، بحيث يكون المدرس «رائداً دينياً» لطلابه .

٢ لو أضيفت الدرجة إلى المجموع لتفوق الطلاب الأقباط على المسلمين لحصولهم على درجات أعلى ، وذلك لتعاطف الأساتذة الأقباط - الذين يقدرّون الدرجات - مع أبناء دينهم ، زيادة على السهولة المفرطة التى يتسم بها مقرر التربية الدينية المسيحية .

وهما دليلان لا يصمدان أمام النقد :

١ فتمثل الدين فى السلوكيات العملية لا يتعارض ، ولا يمنع من تقدير درجة لها قيمتها ، تضاف إلى مجموع الطالب . وليكن جزء من هذه الدرجة - كربعها مثلاً - على سلوكيات الطالب فى المدرسة .

- ٢ وأما الاعتراض الثانى فيمثل - كما أشرت - تأثيرا صامتا ، أو استجابة غير مباشرة لما يحرص العلمانيون والتبشيريون على تحقيقه : من عزل الدين بمفاهيمه الحية عن واقع حياتنا ، واستهانة الطلاب والشباب به علما وقيما .
- ٣ وحتى لو صح الدليل الثانى - وهو مجرد احتمال - فإننى على يقين من أنه لن يتحقق إلا لعام واحد وامتحان واحد . وبعدها يكون الطلاب المسلمون على يقين بأن هناك جدية فى تقدير درجاتهم ، فيأخذون المسألة مأخذ الجد والاهتمام . . . إن لم يكن بدافع عاطفة دينية قوية فبدافع الحرص على تحصيل درجة قيمة تضاف إلى مجموعه .
- ٤ وأخيرا لن يعدم المسئولون من رجال التعليم الأقباط من : يتابع ، ويراجع تقدير درجات الطلاب الأقباط بنزاهة وجدية . بعيدا عن المجاملة والمحاباة ، وخصوصا إذا وضعت قواعد وضوابط صارمة يكون من الصعب تخطئها ومخالفتها .

نعم بأيدينا لا بيد «جرجس» حققنا كثيرا من آمال المبشرين بإرادتنا أو بغير إرادتنا . . . وقد تمثل ذلك فى كثير من الأعمال والأفكار التى روج لها وتبناها «عرب» و«مسلمون» . . ومنها : تشويه المثل العليا من الخلفاء والقادة . . . والدعوة إلى القومية على حساب الدين . . . والاستهانة بالدين علما ودراسة وسلوكا . . وبذلك يفجع الشباب المسلم فى الشخصيات الإسلامية التى غيرت مجرى التاريخ ، وينساق دون تمييز وراء شعارات الحادية ما أنزل الله بها من سلطان . . . ثم تكون النتيجة لا شىء . . . غير . . الضلال . . والضياع . . والهزائم . . والاستسلام .

الفصل الثالث

المواجهة والعلاج

وبعد هذه المسيرة التي صحبنا القارئ فيها على مدى عشرات من الصفحات عرضنا فيها لأبعاد الاستشراق والتبشير والتلحيد ، كما عرضنا للتأثيرات المباشرة وغير المباشرة لكل أولئك على شبابنا . أقول : بعد هذه المسيرة مازال هناك سؤال ملح مؤداه : هل نجح التبشير^(١) وآتى ثماره وحقق أهدافه في نطاق الشباب المسلم ؟ .

هناك من يهون من أمر التبشير ، ويرى أنه أخفق إخفاقا ذريعا ، وأنه لم يحقق إلا نتائج ضئيلة ناصلة اللون والأثر . والذين يذهبون هذا المذهب يستدلون على ذلك بالمرئى المشهود على الساحة المصرية والعربية من موجة التدخين والاحتشام فى أوساط الشباب المسلم .

ولكنى أرى قصورا فى نظرة من يرون هذا الرأى ، ومصدر هذا القصور عدة أمور أهمها :

١ - أنهم نظروا إلى التبشير فى آثاره الظاهرة المباشرة ، ولم ينظروا إليه فى تأثيراته الخفية التدميرية وإن لم تنتسب إلى التبشير صراحة ، وقد ضربنا أمثلة متعددة لهذا اللون الأخير وخصوصا فى مجال الفكر والتعليم ، فالتبشير - فى وقتنا الحاضر - لم يعد مرادفا للتنصير .

٢ - أن موجة التدخين التى هيمنت على شبابنا .. بعض شبابنا لا يستطيع أن ينكرها أحد ، ولكنها ليست دليلا على إخفاق التبشير : ففى المقابل مازال

هناك نسبة عالية جدا من الشباب المتهتك لأسباب متعددة منها تقدم «وتقنية الترفيه» التى أصبحت وسيلة من وسائل الغزو المعنوى لتدمير أخلاق الشباب .

على أن موجة التدين عند الشباب حاليا كانت عند كثيرين نتيجة أو «رد فعل» لعوامل كثيرة من أهمها الشعور بالاضطهاد ، ومن ثم أخذت صورة التطرف غير المحمود ، والذي قد يتعارض مع الدين فى جوهره .

لذلك أرى أن «التبشير» - بالمفهوم الذى سُقناه وألحنا عليه - قد حقق . ومازال يحقق نتائج باهرة ، وكثير من هذه النتائج كانت من عملنا وبأيدينا ، أو على الأقل أسهمنا بالوعى أو باللاوعى فى خلقها وتحقيقها .

«إذا كان الأمر كذلك فلا بد من البحث عن علاج يصل بشبابنا إلى برّ السلامة ويضمن لهم الحصانة الدينية والخلقية ضد كل تيارات التخريب العقلى والدينى والخلقى .

ولكن .. لا انتصار بلا مواجهة ...

ولا علاج بلا تشخيص ...

نعم لابد من وقفة «نشخص» فيها أدواءنا ، ونواجه فيها عيوبنا ومثالبنا . ورضى الله عن عمر بن الخطاب إذ قال «رحم الله امرءا أهدى إلىّ غيوبى» وبعد ذلك نتحدث عن العلاج ... أو على الأقل - ما يصلح أن يكون خطوطا أو «سهاما» تشير الى طريق العلاج . ومن البدهى أنه بقدر القصور وضعف الحصانة المعنوية فى الشباب المسلم يخصب المرعى ويتسع المجال للتبشير ليزرع سمومه ويؤتى ثماره ونتائجه ..

ومن أسباب النكبة الفكرية والقصور الروحى والعلمى وضعف الحصانة الدينية عند شبابنا بصفة خاصة مايتأتى :

أولا : ضياع هوية الأزهر ،

لقد كان الأزهر على مدى ألف عام قلعة من قلاع الدين والعلم والجهاد . . . وهي حقيقة لا تحتاج إلى دليل ، ولا نحتاجنا إلى تفصيل .

ثم كانت نكبة الأزهر فيما يسمى بقانون تطوير الأزهر الذى صدر سنة ١٩٦١ ، وأصبح فى الأزهر كليات علمية تجريبية مثل كلية الطب «وقيل إن الهدف من إنشاء الكليات العملية هو تخريج دعاة متخصصين فى تلك الفروع ، فى تجربة جديدة تلبي احتياجات الدول الأفريقية والآسيوية ، وتضارع تجربة المبشرين المبثوثين فى تلك المناطق . ومرّ ربع قرن ولم يحدث أن أوفد واحد من هؤلاء الخريجين إلى أى من دول أفريقيا وآسيا»^(١) .

فالهدف الأساسى من هذا التطوير - كما زعم مشرعون : الجمع بين الدراسات الفقهية والشرعية من جانب والدراسات التجريبية والإنسانية الحديثة من جانب آخر وذلك لتكوين «الطبيب الفقيه» و «المهندس الفقيه» و «والك - الفقيه» . . حتى يسابق كل من هؤلاء «المبشر الصليبي» الذى ينطلق بين القبائل البدائية فى الأحراش والمرتفعات والمستنقعات ، يعالج المرضى ، ويوزع الملابس والطعام ، ويفجر الماء ، ويبنى المساكن ، ويدعو للمسيحية و «للرب يسوع الذى ينسب إليه المبشر كل هذه الانجازات .

ولكن التطبيق العملى خيب الآمال ، والوسائل التى اتبعت لم تكن على مستوى هذه الطموحات - مع افتراض حسن النية عند الذين سنوا قانون التطوير وفرضوه على الأزهر :

١ - فالجرات الفقهية والشرعية فى الكليات الأزهرية العملية كانت - ومازالت - من الضالة بحيث لا تخلق فقيها أو عالما يملك عدة الداعية الناجح .

٢ - والطلاب الذين التحقوا بالكليات الأزهرية العملية ما خطر لهم هذا

« الأمل » أو « هذا الطموح » ببال ، وإنما الذى وجههم إلى هذه الكليات «سلطان» اسمه «مجموع الدرجات» فى شهادة إتمام الدراسة الثانوية العامة أو الأزهرية . وهم بعد ذلك يسعون جاهدين وراء التخصص العلمى الرئيسى لهذه الكلية حتى يحصل على المؤهل المعادل لمثيله فى الجامعات الأخرى مثل القاهرة وعين شمس .

وأنا على يقين من أن المواد الشرعية ما كانت باعثا لواحد من الطلاب للالتحاق بإحدى هذه الكليات ، وأخشى أن أقول ، أنهم يستثقلونها ولا يتحمسون لها .

٣ - واحترف المتخرجون فى الأزهر نفس المهن التى اتخذها الذين تخرجوا فى الكليات العملية المناظرة فى الجامعات المصرية الأخرى ، ولم نسمع بواحد منهم فى مجال الدعوة الإسلامية فى دولة من دول العالم الثالث ، وربما فى مجال الدعوة الإسلامية داخل مصر نفسها .

ثانيا : قلة الدعاة وضعف مستواهم

فالدعاة القادرون على القيام بمهمة الدعوة على مستوى العالم الإسلامى قليلون ، وأندرُ منهم الجديرون بأداء هذه الرسالة على مستوى العالم بعامة ، والعالم الثالث بخاصة .

وفى نطاق العدد الموجود والذين يُعدون على نحو من الانماء قادرين على الاضطلاع بمهمة الدعوة إلى الإسلام ، نلمس فقرهم فى اللغات الأجنبية . وكثيرا ما نجد أن إتيان الداعية لجانب من الجانبين - العلوم الشرعية واللغة أو اللغات الأجنبية وهى مفتاح العلوم الحديثة - يكون على حساب الجانب الآخر .

فالنقص فى شخصية الداعية : إما نقص كلى أو قريب من الكلى ، ويتمثل فى تخلف أحد الجانبين أو أغلبه ، وإما نقص جزئى يتعلق بتعمق أحد الجانبين ، وبشى من الاستقراء نستطيع أن نحدد أنواع الدعاة وملاحظهم على النحو التالى :

١ - الداعية المحلى التقليدى : وهذا قد انحدر مستواه الفقهى والعلمى فى السنوات الأخيرة .

٢ - الداعية المتكامل : الذى جمع بين الفقه والعلم ، بين الدراسة الشرعية الأصيلة والثقافات والتيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية المعاصرة . مع إتقان لغة أو لغات أجنبية . . وأمثال هذا - كما ذكرت - قليلون بل نادرون .

٣ - الداعية الذى أخذ حظا من هذا ، وطرفا من ذاك ، وغالبا ما يكون ضعيف التمكن من اللغة الأجنبية ، وقليل الزاد من العلوم والثقافات المعاصرة .

ويندرج تحت هذا السبب كذلك تقليديه الوسائل التى يتبعها الدعاة فى الدعوة إلى الإسلام ، والتى تكاد تنحصر فى الكتابة والخطابة .

ثالثا : إغفال الشباب والقصور فى حل مشكلاته

فمن أفدح المغالطات أن ينكر أحد أن الشباب المسلم والمصرى عانى ويعانى من صدمات ومشكلات لا حصر لها : فقد دفع ثمنا باهظا من وجوده وصمته ومستقبله إبان ألوان من الحكم الطغيانى المستبد ، وكم عانى من الضغوط الهائلة وكبت الحريات الدينية والفكرية والسياسية ولم يجد هذا الشباب من يستجيب له أو يقف معه وقفات متأنية يدرس فيها بإنصاف مشكلاته ، ويستجيب - بعدل ومرونة - لأماله وطموحاته .

وقد ترتب على هذا الإغفال نتائج أضرت بالشباب ، وأضررت بالوطن ومن أهم هذه النتائج .

أ - فقد الثقة فيما هو كائن : ويصل هذا الفقد الى خلق حالة من «الانفصام العملى» بين الشباب وبين الموجود الاجتماعى والسياسى والثقافى ، وقد يتحول هذا الانفصام إلى صورة عملية تتكثف فى تمرر ناشط يجنح نحو استعمال القوة المدمرة فى مواجهة هذا الواقع الذى فقد ثقته فيه .

ب - اليأس من إمكانية حلول مستقبلية مشروعة ، وما يصحب ذلك من تمكن

«الطابع اللااكتراثي» أو ما يسمى في الأسلوب الدارج الاستهتار وعدم المبالاة.

جـ - الجنوح المندفع إلى «طرفي النقيض» وهو ما يسمى «بالتطرف» ويتمثل في «التطرف التديني» و «التطرف الإلحادي أو الإنكارى»^(٣)

ثم يكون القصور في مواجهة مشكلات هؤلاء الشباب حلها . وما يؤسف له أن هذه الحلول ، أو محاولات الحلول تتسم في أغلبها الأعم بالسطحية والجزئية وانعدام النظرة الشمولية ، هذا على افتراض توفر حسن النية عند من يحاولون العلاج ، وعلى افتراض استبعاد القمع علاجا ، وقد أثبتت التجارب أن القمع يزيد المشكلات والأزمات تفاقمها واستفحالها .

فمشكلة مثل : التطرف التديني» التي استفحلت - ولا أقول نشأت^(٤) ابتداء من النصف الثاني من هذا القرن . كان يجب أن تدرس الدراسة الوافية بعيدا عن التجريم المسبق والشطط في الأحكام ، وبناء على هذه الدراسة توضع الحلول التي يجب أن تكون واقعية وناجحة . والانصاف يقتضينا ما دمنا نتحدث عن «المواجهة والعلاج» أن يبحث عن مصادر هذه الظاهرة وعللها ، وهي تتلخص من وجهة نظري فيما يأتي :

أ - رد الفعل على «التطرف الإنكارى» الذى كان نتيجة «للغزو المعنوى» بجوانبه الفكرية والإلحادية والتحليلية ، والتي انحرفت بل سقطت بآلاف أو ملايين من الشباب العربى . ولكل فعل رد فعل يماثله فى القوة ، ويناقضه فى الاتجاه .

ب - الاحباط الذى يعانى منه الشباب نتيجة لعجز الأمة العربية عن تحقيق طموحات الشباب فلجأوا إلى العزلة أحيانا وإلى التشدد أحيانا .

جـ - الفراغ الدينى والسياسى الذى يسيطر على كثير من هؤلاء الشباب : فثقافتهم الدينية محدودة ، فهي تكاد تنحصر فى دائرة سلفية حادة ضيقة ، تضم أغلب المظاهر الحضارية بالعدوانية والانحراف .

وهم يعجزون عن مزاوله التعبير أو النشاط السياسى الذى يعتبر من جوهر «الاسلام بمفهومه الشمولى الصحيح» ويرجع الشعور الحاد بهذا الفراغ إلى غياب «الجماعة المستوعبة» أو «التنظيم الجامع» الذى يعمل فى النور ، ويتسع لهؤلاء الشباب ، فلا تتحول حماستهم إلى تطرف ، ولا طاقتهم إلى تدمير .

وإذا ما توصلنا إلى الأسباب والعلل الصادقة الصحيحة أعتقد أنه يسهل علينا بعد ذلك أن نضع الحلول ونقترح العلاج .

وأخيرا وكما أشرت فى مطلع هذا الفصل - نقدم فى السطور الآتية ما يصلح أن يكون خطوطا رئيسية . . أو سهاما تشير إلى طريق العلاج لوقاية شبابنا من «التبشيرية» ولغرس عقيدة الإسلام وقيمة الحية فى نفوس شبابنا وشباب العالم - ومن أهم هذه الخطوط :

١ - الاهتمام بالتعليم الإسلامى : فتكون «التربية الدينية» مادة أساسية فعلية فى كل مراحل التعليم ، بما فيه التعليم العالى بكل كلياته : يستوى فى ذلك الكليات النظرية والكليات العملية .

٢ - إعادة الهوية ، الأزهرية «للأزهر حتى يستطيع أن يمارس رسالته التاريخية والعالمية . . . ويكون ذلك بالتدرج بناء على خطة تستغرق خمس سنوات أو عشرامثلا .

٣ - إنشاء «محاضن إسلامية» فى أوروبا وأمريكا ، وقد تكون فى صورة «مراكز ثقافية تربوية اسلامية» ينفق عليها من «صندوق مال» تسهم فيه البلاد الإسلامية . وتتلقى هذه «المحاضن» الشباب الذى تبعث به حكوماته إلى هذه البلاد لتلقى العلم ، على أن تلزم كل حكومة شبابها بالالتحاق بهذه المحاضن لرعايته دينيا وخلقيا طبقا لبرامج موضوعه على أيدي علماء خبراء .

٤ - إنشاء أكاديمية الدعوة الإسلامية العالمية وتكون مهمة هذا المعهد تخريج «الدعاة الإسلاميين العالميين» وتصورى المبدئى لهذا المعهد يتلخص فى خطوطه الرئيسية الآتية :

- أ - ينشأ في عاصمة كبرى من العواصم الإسلامية ، وإذا نجحت الفكرة فلا مانع من تكرارها في عواصم أخرى .
- ب - يتكون المعهد من مراحل ثلاث : المرحلة الثانوية والمرحلة العالية ، ثم المرحلة العليا لمنح درجتى الماجستير والدكتوراه .
- ج - للمعهد مهمة محدودة وهى «تفريخ الداعية الإسلامى العالمى .
- د - تتلخص البرامج والمناهج الرئيسية فى : المواد الشرعية ومقارنة الأديان ، والمذاهب الاقتصادية والسياسية واللغات الحية ولغات العالم الثالث ، وتعمق هذه المواد مع التقدم فى سنى الدراسة ، على أن يكون «التدريب العملى» من منتصف المرحلة العالية ويستمر إلى أن ينتهى الدارس من دراسته ، والتدريب يكون على الخطابة والكتابة والأساليب والوسائل الحديثة فى الدعوة .
- هـ - يقبل فى المعهد نوابغ الطلاب من العالم الإسلامى ، ويتكفل المعهد بإسكان الطلاب وإعاشتهم ، زيادة على مرتبات شهرية مجزية .
- و - المتخرجون فى المعهد يكونون طليعة فى «جيش الدعاة العالمى» الذى يباشر عمله فى الدعوة الإسلامية فى العالم وبخاصة العالم الثالث .
- ز - لا يخضع المعهد لسلطة حكومية معينة حتى الدولة المقام على أرضها ، بل يكون له «شخصيته الاعتبارية المستقلة» .
- ح - يكون تمويل المعهد بإسهام من الدول الإسلامية جميعا ، ومن حصائل الزكاة والتبرعات ، وانطلاقا من مشروع «دينار الدعوة الإسلامية» فى صورة «بنوات» تطرح فى الدول الإسلامية ، والجاليات والأقليات المسلمة فى العالم كله تحت شعار «ادفع دينارا تخدم الإسلام» ويمنح الدعاة مرتبات عالية ، تليق بمراكزهم العلمية ، وتضمن لهم مستقبلا مطمئنا .

والحمد لله فى الأول والآخر .

المراجع

- ١ - أخبار أبي نواس بن منظور المصري . تقديم عمر أبي النصر دار الجليل . بيروت ١٩٧٥ .
- ٢ - الأدب وقيم الحياة المعاصرة : د . محمد زكى عشاوى الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة (د.ت) .
- ٣ - أزمة الفكر العربى . د . إسحق موسى الحسينى دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٤ .
- ٤ - الإستعمار والمذاهب الاستعمارية : د . محمد عوض محمد . دار الكتاب العربى . القاهرة ١٩٥٣ .
- ٥ - الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية [منذ دخلها الإسلام حتى الآن] : د . أحمد شلبى [وهو الكتاب السادس من موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية] ج١ (٤) ١٩٨٣ مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .
- ٦ - الإنسان بين المادية والإسلام : محمد قطب ج١ (٤) ١٩٦٥ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي) القاهرة .
- ٧ - البداية والنهاية : ابن كثير : الحافظ إسماعيل بن عمر . دار الفكر العربى . القاهرة . ج١ (١) ١٩٤٢ .
- ٨ - تاريخ الأدب العربى : أحمد حسن الزيات ج١ (٢٦) دار الثقافة بيروت . لبنان .
- ٩ - تاريخ الدولة العلمية العثمانية : محمد فريد بك المحامى دار النفائس - بيروت ج١ (١) ١٤٠١-١٩٨١ .
- ١٠ - التبشير والإستعمار فى البلاد العربية : د . مصطفى خالد - د . عمر فروخ . ج١ (٣) ١٣٨٣-١٩٦٤ - بيروت .
- ١١ - التفرقة العنصرية د . أحمد المعمرى . المؤسسة المصرية . القاهرة ١٩٦٤ .

- ١٢ - حركة البعث في الشعر العربي الحديث د . ماهر حسن فهمي دار الطباعة الحديثة . القاهرة (د.ت) .
- ١٣ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس العقاد دار الكتاب العربي . بيروت لبنان ج١ (٣) ١٩٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ١٤ - دائرة معارف القرن العشرين م الرابع عشر هـ محمد فريد وجدى المجلد الثانى ط (٣) ١٩٧١ . دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
- ١٥ - دراسة الأغاني شفيق جبرى دمشق ١٩٥١ .
- ١٦ - الدولة العثمانية والشرق العربى د . محمد أنيس مكتبة الأنجلو . القاهرة (د.ت) .
- ١٧ - الرجل الصنم : كمال أتاتورك بقلم ضابط تركى سابق ترجمه عبدالله عبدالرحمن . مؤسسة الرسالة بيروت (الطبعة الأولى ١٣٦٧-١٩٧٧) .
- ١٨ - الشوقيات أحمد شوقى الجزء الأول مطبعة الاستقامة . القاهرة ١٩٦١ .
- ١٩ - عبقرية محمد عباس العقاد . دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٠ - العلمانية : نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة سفر بن عبدالرحمن الحوالى . دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ط ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٢١ - العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق : د . محمد البهى . مطبعة الأزهر . القاهرة ١٩٧٦ .
- ٢٢ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى د . محمد البهى ط ١٠ مكتبة وهبه القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٣ - الفكر الإسلامى المعاصر . دارسة وتقويم : غازى التوبة ط (٣) ١٩٧٧ - دار القلم - بيروت .
- ٢٤ - الفكر العربى فى معركة النهضة د . أنور عبدالملك ط (٢) بيروت ١٩٧٨ .
- ٢٥ - القاديانية إحسان إلهى ظهير ط (٢٠) ١٤٠٤ - ١٩٨٣ - لاهور باكستان .
- ٢٦ - القاموس المحيط : الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب (مؤسسة الحلبي . القاهرة . د.ت) .

- ٢٧ - لسان العرب : ابن منظور المصرى : جمال الدين محمد بن مكرم دار صادر . بيروت .
- ٢٨ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر بيروت ط (٣) ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .
- ٢٩ - محمد الإنسان والرسول بأقلام جماعة من الكتاب ، دار الشعب . القاهرة رمضان ١٣٨٧ - ديسمبر ١٩٦٧ .
- ٣٠ - المدخل إلى القيم الإسلامية : د . جابر قميحة . دار الكتاب المصرى القاهرة ١٩٨١ .
- ٣١ - مذكرات الدعوة والداعية ، الإمام الشهيد حسن البنا المكتب الإسلامى - بيروت ج ١ (٥) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٣٢ - المستشرقون الجزء الأول نجيب العقيقى ط ٤ دار المعارف القاهرة .
- ٣٣ - المستشرقون الجزء الثالث نجيب العقيقى ط ٤ دار المعارف القاهرة .
- ٣٤ - مغتربات على الإسلام أحمد محمد جمال . مؤسسة دار الشعب - القاهرة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .

الدوريات

- ١ - الأهرام (القاهرة) .
- ٢ - الرائد (الكويتية) .
- ٣ - الرسالة (القاهرة) .
- ٤ - العالم (تصدر بالعربية فى لندن) .
- ٥ - المقتطف (القاهرة) .

هوامش (ف ١)

- (١) انظر، أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي ٥١٢.
- (٢) السابق ٥١٣.
- وانظر في تفصيل هذه الجهود: د. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص ٤٣٢.
- (٣) البهي: المرجع السابق ٤٣٣.
- (٤) سورة المائدة: آية ٨.
- (٥) انظر فصل « البطل في صورة الرسول » لتوماس كارليل، في كتاب « محمد الإنسان والرسول ». وما كتبه كارليل عن الرسول عليه السلام هو فصل في كتابه المشهور (الأبطال) الذي ألفه سنة ١٨٤٠.
- وكان لما كتبه كارليل أثر طيب جداً في نفوس المسلمين وكثير من منصفى المسيحيين، حتى أن « أمين الريحاني » - وهو مسيحي ماروني ومن أشهر أدباء المهاجر الأمريكي كتب يقول « ... وكان كارليل أول من عادى من وراء البحار إلى العرب، أجل وقد يستغرب قولي: أنى عرفت بواسطة الكاتب الإنجليزي الكبير: سيد العرب الأكبر محمداً، فأحسست لأول مرة بشيء من الحب للعرب، وصرت أميل إلى الاستزادة من أخبارهم ... ».
- عن كتاب: الدكتور إسحق موسى الحسيني: أزمة الفكر العربي ٥٨.
- (٦) انظر: نجيب العقيقي « المستشرقون » ٣ / ٥٤٢.
- (٧) انظر السابق ٣ / ٥٥١.
- (٨) السابق ٣ / ٥٣٥.
- (٩) السابق ٥٤٧.
- (١٠) السابق ٥٥١.
- (١١) أحمد محمد جمال: مقترحات على الإسلام ١٣.
- (١٢) مجلة « الشبان المسلمون » ديسمبر ١٩٦٠ عن كتاب: العقيقي: المستشرقون ٣ / ٥٩٨.
- (١٣) انظر في تفصيل كل أولئك كتاب العقيقي السابق من ص ٥٩٨ إلى ص ٦٠٤. وقد أكثر المؤلف من ضرب الأمثلة وسوق الشواهد.
- (١٤) عباس العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ٣٥٨.
- (١٥) ومن أشهر هؤلاء: أ. ج. أربري A. J. Arberry - الفريد جيوم A. Geom - بارون كارون كارادى فو Bron Carrade Vaux - هـ. أ. ر. جب H. A. R. Gibb - جولد زيهـر Goldziher - جون مارينارد J. Maynard - س. م. زويمـر S. M. Zweimer - عزيز عطية سوربال - غ. فون. جرونباوم G. Von. Grunbaum - فيليب حتى P. H. Hitti - هنرى لامنس اليسوعى H. Lammem - يوسف شاخت J. Shacht.
- [راجع عن هؤلاء وأمثالهم: د. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار من ص ٤٤٧ - ٤٥٢].

- (١٦) البهي : السابق ٣ / ٤٣ .
- (١٧) السابق : الصفحة نفسها .
- (١٨) انظر السابق ٤٥ - ٤٦ .
- (١٩) العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ٢٥٤ .
- (٢٠) السابق ٢٥٥ .
- (٢١) عبقرية محمد ١٠٢ .
- (٢٢) العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ٢٥٥ . وقد شرح الكاتب الدوافع والبواعث الإنسانية التي كانت وراء بناء النبي عليه السلام - بكل واحدة من زوجاته . انظر الصفحات من ٢٥٦ - ٢٦٤ .
- (٢٣) العقاد : عبقرية محمد ١٠٦ . وراجع فصل (الزوج) ٩١ - ١١٧ من الكتاب .
- وراجع كذلك إلى فصل « زوجات الرسول - صل الله عليه وسلم » من ص ٩٥ إلى ص ١٠٣ من كتاب « مفتريات على الإسلام » لأحمد محمد جمال . وقد نهج في الكتاب نهج العقاد في براعة الاستقراء والعقلانية والتصدى في قوة لزاعم المستشرقين والمبشرين .
- (٢٤) في الجامعات الأوروبية والأمريكية تدرس العاميات العربية على نطاق واسع ، وقد لمست ذلك بنفسى في قسم اللغات والآداب الشرقية بجامعة « يل » YALE . حيث كانت تدرس العامية السورية بجانب اللغة العربية الفصحى .
- (٢٥) راجع في ذلك كتاب د . إسحق موسى الحسينى : أزمة الفكر العربي في الفصلين القيمين « عروية اللسان » ٦٧ - ٨٥ . و « الحروف العربية والحروف اللاتينية » ٨٦ - ٩٩ . وراجع كذلك إلى كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » للدكتورين مصطفى خالدى وعمر فروخ ٢١٧ - ٢٣٢ .
- (٢٦) البهي : الفكر الإسلامى الحديث ٤٨ . وانظر كذلك الصفحات ٤٤ - ٤٩ .
- (٢٧) انظر السابق ٥٢ .
- (٢٨) نسبة إلى ميرزا غلام أحمد القاديانى - من قاديان بإقليم البنجاب - توفى سنة ١٩٠٨ .
- (٢٩) إحسان إلهي ظهير : القاديانية ٢٠ .
- (٣٠) د . البهي : السابق ٣٩ .
- (٣١) العقيقى : المستشرقون ٣ / ٦١٣ .
- (٣٢) عن كتاب د . أنور عبد الملك « الفكر العربى في معركة النهضة » ١٢٠ .
- (٣٣) عن العقيقى : المستشرقون ٣ / ٦١٥ .
- (٣٤) يحرص اليهود لأسباب عرقية وتاريخية وعقد سياسية واجتماعية تراكمت على مدار التاريخ - على ما يمكن أن نسميه « الاكتفاء العقبى الذاتى » دون حرص على نشر الديانة اليهودية ، والاستعاضة عن النمو العدى بإحكام السيطرة الاقتصادية والسياسية على مستوى العالم كله . ومن أهم أسباب هذا « التوقع الدينى » حرصهم على « نقاء الدم اليهودى » . وقد رد رينان على هذه المقولة أو هذا الوهم ، وأثبت أن كلمة « يهودى » ليس لها معنى « أنتروبولوجى » أى وراثى . بل فندها بعض علماء اليهود أنفسهم مثل « فريد ريخ هرتس » في كتابه « الجنس والحضارة » .

ويقول « إيفانز برتشارد » - بعد أن نقض أصل فكرة الدم النقي - « يتكلم عامة الناس عن السلالة اليهودية التي يعنى بها العلماء كل من اعتنق الدين اليهودي، فاليهود وإن كانوا منتشرين في معظم أنحاء العالم ليس لهم خواص ومميزات طبيعية مشتركة بينهم جميعاً ».

ارجع في تفصيل ذلك إلى كتاب د. محمد عوض « الاستعمار والمذاهب الاستعمارية: ١٥٣ - ١٥٤، ١٥٦. وكتاب أحمد سويلم العمري « التفرقة العنصرية » ٢٥. وكتاب الدكتور إسحق موسى الحسيني « أزمة الفكر العربي » ٤٩ - ٥١.

(٣٥) جاء في القاموس المحيط: والمباشرة والتبشير كالإبشار والبشور والاستبشار. والبشارة الاسم منه كالبشرى.. وهو أبشر منه: أى أحسن وأجل وأسمن، والبشر بكسر الباء: الطلاقة. والكلمة في الاستعمال القرآني تأتي بمعنى الوعد بها هو طبيب، كما تدور في ذلك المعاني السابقة ﴿.. وبشر الصابرين﴾ - ﴿.. وبشر المؤمنين﴾ «إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى» الحجر ٥٣. ولا تخرج الكلمة عن ذلك إلا على سبيل السخرية والاستهزاء ﴿.. وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ التوبة: ٣.

(٣٦) جاء في القاموس المحيط «وعمر الله منزلك عهارة وأعمره جعله أهلاً، وأعمره المكان، واستعمره فيه: جعله يعمره. والمعمّر كمسكن: المنزل الكثير الماء والكلأ. وفي القرآن الكريم: ﴿إنها يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ التوبة: ١٨ -

- ﴿... كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها...﴾ الروم: ٩.

- ﴿... هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها...﴾ هود: ٦١.

(٣٧) ومن عجب أن يكون هناك من يزعم أن المستعمر الأوروبي إنما انطلق إلى دول العالم الثالث مستعمرًا لتحقيق «رسالة إنسانية» تلتخص في «التعمير والتنوير والارتقاء بالشعوب المتخلفة اقتصادياً وعقلياً وسياسياً.

راجع في ذلك كتاب د. محمد عوض: الاستعمار والمذاهب الاستعمارية حيث يفند الباحث فيه هذه المزاعم ويفضح فيه الأهداف الحقيقية للاستعمار ووسائله المختلفة في فرض سيادته واستنزاف الشعوب.

(٣٨) جاء في لسان العرب: ولحد في الدين يلحد وألحد: مال وعدل، وقيل لحد: مال وجار.

وقال ابن السكيت: الملحد: العادل عن الحق، المدخل فيه مالميس فيه، يقال قد ألحد في الدين ولحد أى حاد عنه. قال ابن برى: ومعنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد. ولحد على في شهادته يلحد لحداً: أثم. ولحد على بلسانه: مال.

ومن هذه الاستعمالات اللغوية يكون استعمالنا لكلمة « التلحيد » استعمالاً صحيحاً، وواضح أننا نقصد بها « حل الآخرين على الميل عن الدين ومجانبة القصد والزيف عن العقيدة وتجنب الحق والقيم والخلق الطيب ».

(٣٩) الخالدي وفروخ: التبشير والاستعمار ٤٦.

(٤٠) محمد فريد وجدى: دائرة المعارف القرن العشرين ٢ / ٢١١.

(٤١) محمد فريد وجدى: السابق ٢ / ٢١٤.

(٤٢) سفر بن عبد الرحمن: العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها ٥٥٢. ومن فضول القول أن ننسبه إلى أن القس الصليبي يعنى « الله » في التصور الإسلامي، وذلك في قوله: «... ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ».

(٤٣) العلمانية: السابق ٥٥٣.

هوامش (ف ٢)

- (١) عن كتاب « العلمانية » لسفر بن عبد الرحمن ص ٥٥٤ . والإحصائية كانت من قرابة عشرين عاماً ، وقد نقلها الكاتب عن كتاب « أين محاضن الجيل المسلم » يوسف العظيم ص ٣٤ ، ٣٥ . ولا شك أنها تعتبر متواضعة إذا قيسَت باحصائيات اليوم .
- (٢) انظر مجلة « العالم » العدد ٧٧ السنة الثانية (السبت ٣ من أغسطس ١٩٨٥) .
- (٣) بلغ الغرور والصلف بهذا القس أنه علل ذلك في جزء سابق من خطابه بأن إدخال المسلمين في المسيحية يعد هداية لهم وتكريباً . وهم لا يستحقون ذلك . انظر « العلمانية » ٥٥٢ .
- (٤) العلمانية ٥٥٣ .
- (٥) الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار ٨٨ .
- (٦) السابق ١٤٨ .
- (٧) انظر في تفصيل ذلك تفصيلاً موثقاً من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٣ من كتاب الإمام الشهيد حسن البنا « مذكرات الدعوة والداعية » . وموقف جماعة الإخوان المسلمين وتمكنهم من كسر هذه الموجة التبشيرية العاتية .
- (٨) الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار ١١ .
- (٩) السابق ٢٢ .
- (١٠) السابق ٦٧ .
- (١١) السابق ٦٨ نقلاً عن : Mott: The Moslem World of To-Day
- (١٢) ارجع إلى فصل « الاستعمار والأديان » ٤٤٨ - ٤٥٧ وبخاصة الصفحات الثلاث الأخيرة من كتاب الدكتور أحمد شلبي « الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية » .
- (١٣) في أحد أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٨٢ في مدينة نيوهافن بولاية كنكتكت بالولايات المتحدة وفي قاعة المحاضرات الكبرى بكلية اللاهوت Divinity School بجامعة YALE استمعت إلى قس أسود وافد من جنوب أفريقيا في محاضرة عامة له عن « التفرقة العنصرية » قال فيها « . . . إن الرجل الأسود إذا ذهب للصلاة في إحدى الكنائس التي خصصت للبيض ، طرده قسيس الكنيسة الأبيض ، فيولى هارباً - لا إلى إحدى كنائس السود ، بل إلى مسجد المسلمين ليعلم إسلامه على يد شيخ مسلم يحسن استقباله ، وما فعل المسيحي الأسود ذلك إلا كرد فعل انتقامي على هذه التفرقة العنصرية التي انعكست في معاملة الرجل الأبيض للمسيحي الأسود معاملة تجافي إنسانية المسيحية . . . » فقلت في نفسي : يا سبحان الله . . وما رمت إذ رميت ، ولكن الله رمى .
- (١٤) انظر في شرح هذه النظرة وذلك التكيف « الفكر الإسلامي المعاصر » لغازي التوبة ٥٥ .
- (١٥) ذكر القارئ أننا في حديثنا هذا نستثنى كما ذكرنا في الفصل الأول الجهود الصادقة التي قام بها مستشرقون أمناء مخلصون للحق والحقيقة العلمية فأدوا للإسلام والعربية خدمات جليلة ، وأسلم بعضهم وحسن إسلامه .

(١٦) من ذلك ما يعرضه « ابن منظور المصري » صاحب « لسان العرب » من قصص وحكايا عن « هارون الرشيد »، وكلها أعجز من أن يواجه النقد البصير، ومن ذلك - على سبيل التمثيل تلك القصة التي تزعم أن الرشيد كان يتجسس ويسترق النظر إلى بعض جواريه وهن عرايا، ويقول في ذلك شعراً، ويبعث في طلب أبي نواس ليكمل ما بدأه الرشيد من شعر.

[انظر القصة كلها في « أخبار أبي نواس » لابن منظور ١٩١] .

ولم يكن الرشيد محروماً من المتعة الحلال - بالزواج أو الترسى - حتى يلجأ إلى سلوك مسالك المراهقين الشواذ. على أن ابن منظور نفسه عاد في نفس الكتاب ص ١٩٤، وقرر أن بعض المترجمين الذين يحيطون علماً بأحوال أبي نواس يذهبون إلى أن هذه الحكايات عن أبي نواس والرشيد موضوعات، وأن أبا نواس ما دخل على الرشيد قط، ولا رآه، وإنما دخل على محمد الأمين.

(١٧) مقدمة ابن خلدون ١٨ - ١٩ .

(١٨) هو شقيق جبري في كتابه «دراسة الأغاني» ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(١٩) انظر : جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢٠) اقرأ مثلاً من ص ١١ إلى ص ١٧ من كتاب «تاريخ الوطن الحديث» المقرر على الصف الثالث الإعدادي في المدارس الليبية (١٩٨٣ - ١٩٨٤) . وكذلك من ص ١٣ الى ص ١٩ من «تاريخ مصر الحديث والمعاهد» المقرر على الصف الإعدادي بالمدارس المصرية (١٩٨٤ - ١٩٨٥)، وقد عرضا تاريخ الدولة العثمانية غاصاً بالمساوىء والمظالم والشورور، وخلوا من كل حسنه ومكرمه.

(٢١) ارجع إلى د. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢٦١/١ .

(٢٢) انظر د. زكى عشاوى : الأدب وقيم الحياة المعاصرة ١٧٤ - د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ٤ . وجمال كشك في مجلة الرسالة العدد ١١٠١ .

(٢٣) في كتابه : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٣/١

(٢٤) د. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ٧/١ .

(٢٥) السابق ٨/١ .

(٢٦) السابق ١٠/١

(٢٧) ارجع إلى القصيدة في الشوقيات ٤٢/١ .

(٢٨) راجع : د. محمد أنيس : الدولة العثمانية ص ٢٥٤ - ٢٥٩ .

(٢٩) انظر : جابر قميحة : «الدولة المظلومة والخليفة المفترى عليه» بمجلة الرائد الكويتية العدد ١٨١ السنة الخامسة . الخميس ٢٣ من مايو ١٩٧٤ .

(٣٠) انظر بتفصيل : د. ماهر حسن فهمي «حركة البعث في الشعر العربى الحديث» ٢٠ وانظر كذلك مجلة «المقتطف» عام ١٨٨٩ من ص ٧٢٤ - ٧٢٨ .

- (٣١) الكتاب بقلم ضابط تركى كبير عايش مصطفى كمال . وحرص على عدم ذكر اسمه لسبب معروف . وقد ترجم إلى العربية سنة ١٩٧٧ .
- (٣٢) انظر الرجل الصنم ٣٢٧ ، ٣٦٨ .
- (٣٣) اسما عيل هو شقيق لطيفة هانم زوجه مصطفى كمال .
- (٣٤) الرجل الصنم ٣٧٠ (ملخصا) . وانظر وقائع أخرى عن خطفه النساء واغتصابهن وقتله بعض عشيقاته ، وتبينه بعض الفتيات للفسحة بهن .
- (٣٥) انظر السابق ١٨٦ - ١٨٨ .
- (٣٦) السابق ٤١٧ .
- (٣٧) السابق ٢٦٤ .
- (٣٨) السابق ٤٠٩ .
- (٣٩) السابق ٤٠٨ .
- (٤٠) السابق ٤١١ .
- (٤١) السابق ٤١٥ .
- (٤٢) السابق ٤١٦ .
- (٤٣) انظر السابق ٤٦٥ .
- (٤٤) ارجع فى ذلك إلى كتاب : محمد فريد بك المحامى «تاريخ الدولة العلية العثمانية من ص ٧٢٠ - ٧٣٣ .
- (٤٥) الإمام الشهيد حسن البنا : دعوتنا فى طور جديد : مجموعه رسائله ٢٣ .
- (٤٦) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٨/٣ .
- (٤٧) د. محمد البهى : العلمانية والإسلام ٥٤ .
- (٤٨) انظر السابق : نفس الصفحة .
- (٤٩) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ٢٩٠ - ٢٩١ .
- (٥٠) حسن البنا : مجموعة الرسائل ١٥٩ .
- (٥١) تشمل هذه المادة : القرآن الكريم والحديث الشريف والعبادات والعقائد والتهديب والسير ، على اختلاف كمى وكيفى تبعاً لطبيعة المرحلة .
- (٥٢) لطلاب الأقباط منهج خاص فى التربية الدينية وضع بمعرفة رجال الدين المسيحيين فى مصر .
- (٥٣) مواد المستوى الخاص مقررات معينه تتسم بالعمق من حق طالب الثانوية العامة أن يختار منها مادة أو مادتين ، وتضاف الدرجة إلى المجموع إذا كانت ٥٠٪ أو أكثر من النهاية الكبرى للدرجة وهى لا تتعدى ٢٠ درجة . ولا تضاف الدرجة إلى المجموع إذا كانت أقل من ٥٠٪ .
- (٥٤) ومن هؤلاء الأستاذان الفاضلان محمد عبدالعزيز الذى كان يعمل موجهاً عاماً فى التربية والتعليم ، ومحمد الفاتح الحسينى خبير التربية بالوزارة .

هوامش (ف ٣)

- (١) اذكر القارىء بما كتبناه في الفصلين السابقين بأن «التبشير» هو الصورة الباقية الآن من الاستشراق . كما أن الاستشراق المغرض نشأ في احضان الصليبية بمفهومها السياسى والدينى فهو والتبشير - بحكم النشأة والهدف - سواء . وكذلك ما ذكرناه من أن التلحيد من مهام التبشير الأساسية في البلاد الإسلامية . ومن ثم نرى أن «التبشير» كلمة أو مصطلح يعنى عرفيا وواقعيا عن «الاستشراق والتلحيد» وخصوصا في وقتنا الحاضر . وهذا لم يمنعنا من الاعتراض على كلمتى «التبشير والاستعمار» من ناحية التأصيل اللغوى والدلالة المجردة .
- (٢) فهمى هويدى : الأهرام ١٩٨٦/٢/٢٥ . مقال بعنوان «محنة الأزهر»
- (٣) آثرنا استعمال «التطرف التدينى» بدلا من الاصطلاح المشهور ، التطرف الدينى « لأن الدين في ذاته لا يعرف التطرف . إنما التطرف ينسب إلى «التدين» الذى يمثل «عملية» اعتقادية وسلوكية .
- (٤) فالتطرف الاعتقادى أو التدينى قديم ، ولعل صورته الأولى تتمثل في قتل قابيل أخاه هابيل . وفى تاريخنا الإسلامى كان للخوارج قدح ممل فى هذا المجال .

